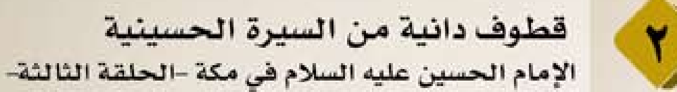
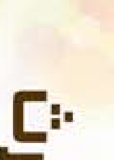

الأمانة العامة
المقدسة
الوارث
٣٤
توزّع مجاناً
ذي القعدة ١٤٣٢
تشرين الأول ٢٠١١
نشرة شهرية دينية ثقافية تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية في العتبة الحسينية المقدسة
يا علي بن موسى الرضا

بسم الله الرحمن الرحيم




صفحات الوارث ....

٢ **قطوف دانية من السيرة الحسينية**
الإمام الحسين عليه السلام في مكة -الحلقة الثالثة-

٤ **في رحاب علوم القرآن**
التوحيد الفطري -الحلقة الأولى-

٦ **على ضفاف نهج البلاغة**
عالم الملائكة في نهج البلاغة -الحلقة الأولى-

٨ **مدارات فكرية في مدرسة العترة النبوية**
طاعة الشيطان وآثارها على الإنسان

١٠ **أخلاقك هويتك**
ابتناء التوكل على حصر المؤثر في الله تعالى-الحلقة الأولى-

١٢ **مباحث عقائدية**
فلسفة وجود الإمام

١٤ **أعلام الشيعة**
المولى قربان علي الزنجاني

١٦ **معاجز أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم**
رد الشمس كرامة لأمير المؤمنين عليه السلام

١٧ **في رحاب مدرسة الدعاء**
شرح الصحيفة السجادية -الحلقة السادسة-

١٨ **شؤون الأسرة**
فقه الأسرة وآدابها-حدود طاعة الوالدين وبرّهما-

٢٠ **عبر من التاريخ**
الولاء والعلاقة بالأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

٢١ **معارف عامة**
الطاقة -الحلقة اخامسة-

تنفيذ
مطبعة دار الضياء



الوارث
إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩:١٢١١

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email:info@imamhussain-lib.org

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة



عندما يتأمل العاقل في كلام أهل بيت العصمة عليهم السلام يكتشف كثيراً من القواعد الحياتية التي تأخذه بيده الى الاستقامة والنجاة من العثرات، والتي ترفد عقله بالنهج القويم والتفكير السليم. فلأهل البيت عليهم السلام قول في كل فن ونصيحة عند كل شبهة، وارشاد لكل خطوة، وانارة في كل ظلمة.

ولكي نسلط الضوء على بعض هذه القواعد الاخلاقية التي لو اتخذها المؤمن منهاجاً لفاز في الدنيا والآخرة. ولو اتخذها الكافر نصيحة لسار سيراً صحيحاً وقطف ثماراً ناضجة في حياته، وسنذكر لكم ثلاث قواعد باختصار شديد يتلاءم مع المساحة المتاحة لنا:

القاعدة الأولى: ورد عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه ولا نزع عن شيء إلا شانه) فهذه القاعدة نبراس يستضاء به عند التعامل مع الناس، فمن أراد أن ينال مبتغاه فعليه بالرفق واللين دون الذلة والتملق فإنه سيكسب القلوب ويلوي الاعناق وينال ما يريد.

القاعدة الثانية: ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (قف عند كل أمر حتى تعرف مدخله من مخرجه، قبل ان تقع فيه فتندم)[1] وهذه القاعدة هي الأخرى ترشد إلى ضرورة التأني وعدم العجلة عند القدوم على فعل معين، لكي لا تكون العواقب وخيمة والإقدام على هذا الفعل غير مدروس، وتشير هذه القاعدة إلى معرفة الحكم الشرعي إزاء هذا الأمر الذي أريد الدخول فيه.

القاعدة الثالثة: ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: (من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عز وجل)[2] هذه القاعدة الاخلاقية تدلنا على ضرورة شكر المنعم سواء أكان المنعم الخالق أم المخلوق، لما في ذلك من عرفان بالجميل وحث على زيادة المنعم فهذه القاعدة هي صدى لقوله تعالى: (لئن شكرتم لأزيدنكم) فلابد للعاقل الذي يريد أن تستمر نعمه وتزداد أن يكون دائم الشكر للمنعم، ثم إن هذه القاعدة تقول اذا انت انكرت نعم المخلوق عليك فأنت لنعم الخالق أشد انكارا، وتقول أيضاً ان انكارك وعدم شكرك للمخلوق هو عدم شكر للخالق، لأن الخالق هو الذي سخر لك هذا المخلوق الذي أنعم عليك، فلذا ينبغي التعامل مع هذه القاعدة بدقة وجدية.

هذا ملخص هذه القواعد وسنوافيكم إذا سمح لنا المجال في بيان غيرها ان شاء الله تعالى.

---

(١) ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ج٤، ص٣٢٧٠.
(٢) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٢، ص١٤٩٣.

المشرف العام



الحلقة الثالثة

الإمام الحسين عليه السلام في مكة

قال الطبري أبو جعفر: حدّثنا محروز بن منصور عن أبي مخنف لوط بن يحيى، قال: حدثنا عباس بن عبد الله عن عبد الله بن عباس، قال: أتيت الحسين عليه السلام وهو يخرج الى العراق فقلت له: يا بن رسول الله لا تخرج.

فقال: «يا ابن عباس أما علمت إن منعتني من هناك فإن مصارع أصحابي هناك».

فقلت له فأنى لك ذلك؟

قال: «بسرّ سرّه لي وعلم أعطيته».

وفي بعض الكتب جاء عبد الله بن عباس إلى الحسين عليه السلام وتكلّم معه بما تكلم إلى أن أشار عليه بالدخول في طاعة يزيد وصلح بني أمية.

فقال الحسين عليه السلام:

«هيهات هيهات يا ابن عباس إن القوم لن يتركوني وإنهم يطلبونني أين كنت حتى أبايعهم كرها ويقتلوني، والله إنهم ليعتدون عليّ كما اعتدت اليهود في يوم السبت، وإني ماض في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث أمرني، وإنا لله وإنا إليه راجعون».

فقال: يا بن العم بلغني أنك تريد العراق وأنهم أهل غدر، وإنما يدعونك للحرب فلا تعجل فأقم بمكة.

فقال عليه السلام: «لئن أقتل والله بمكان كذا أحب إلي من أن أستحل بمكة، وهذه كتب أهل الكوفة ورسلهم وقد وجب عليّ إجابتهم وقام لهم العذر عليّ عند الله سبحانه».

فبكى عبد الله حتى بلت لحيته وقال: وا حسيناه وا أسفاه على حسين.

لقاؤه عليه السلام مع عمر بن عبد الرحمن

قال عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي: لمّا تهيأ الحسين عليه السلام للمسير إلى العراق، أتيته فدخلت عليه فحمدت الله وأثنيت عليه ثم قلت: أمّا بعد؛ فإني أتيتك يا بن عمّ لحاجة أريد ذكرها، فان كنت ترى أنك تستنصحني، وإلاّ كففت عمّا أريد أن أقول.

فقال الحسين عليه السلام: «قل فو الله ما أظنك بسيىء الرأي، ولا هو للقبيح من الأمر والفعل».

قال: إنه قد بلغني أنّك تريد المسير إلى العراق وإني مشفق عليك من مسيرك، إنك تأتي بلداً فيه عمّاله وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحبّ إليه ممن يقاتلك معه.

فقال الحسين عليه السلام:

«جزاك الله خيراً يا بن عمّ؛ فقد والله علمتُ أنك مشيت، ومهما يقض من أمر يكن، أخذت برأيك أو تركته».

لقاؤه عليه السلام مع الواقدي وزرارة

روى أبو جعفر الطبري، عن الواقدي وزرارة بن صالح قال: لقينا الحسين بن علي عليهما السلام قبل خروجه إلى العراق بثلاثة أيام فأخبرناه بهوى الناس بالكوفة، وأنّ قلوبهم معه وسيوفهم عليه، فأومأ بيده نحو السماء ففتحت أبواب السماء....، فقال عليه السلام:

« ....، ولكن أعلم يقينا أن هناك مصرعي ومصرع أصحابي، ولا ينجو منهم إلا ولدي علي».

كلامه عليه السلام مع ابن الزبير

أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد ابن الفراء وأبو غالب أحمد وأبو عبد الله يحيى ابنا الحسن، قالوا: أنبأنا أبو جعفر ابن السلمة، أنبأنا محمد بن عبد الرحمان ابن العباس، أنبأنا أحمد بن سليمان، أنبأنا الزبير بن بكّار، حدّثني عمي مصعب بن عبد الله، أخبرني من سمع هشام بن يوسف الصنعاني، يقول عن معمر، قال:

وسمعت رجلا يحدّث عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: سمعته يقول لعبد الله بن الزبير:

«أتتني بيعة أربعين ألفا يحلفون لي بالطلاق والعتاق من أهل الكوفة».

فقال له عبد الله بن الزبير: أتخرج إلى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك؟!

وقال ابن قولويه: حدّثني أبي رحمه الله وعلي بن الحسين جميعاً عن سعد، عن محمد بن الحسين، عن صفوان بن يحيى، عن داود بن فرقد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قال عبد الله بن ا لزبير للحسين عليه السلام: ولو جئت إلى مكة فكنت بالحرم).

فقال الحسين عليه السلام:

«لا نَسْتَحِلُّها وَلاَ تُسْتَحَلُّ بنا، وَلإنْ أُقْتَلَ عَلى تَلِّ أعْفَرَ أحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أُقْتَلَ بها».

وجاء عبد الله بن العباس وعبد الله بن الزبير فأشارا عليه بالإمساك، فقال لهما: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قَدْ أمَرَني بِأمْرٍ وَأنا ماض فيه».

قال: فخرج ابن العباس وهو يقول: واحسيناه.

ثمّ جاء عبد الله بن عمر فأشار عليه بصلح أهل الضلال وحذّره من القتل والقتال، فقال عليه السلام:

«يا أبا عبد الرحمان، أما عَلِمْتَ أنَّ مِنْ هَوانِ الدُّنْيا عَلى الله تَعالى أنَّ رَأسَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيا أُهْدِيَ إلى بَغِيٍّ مِنْ بَغايا بَني إسرائيلَ، أما تَعْلَمُ أنَّ بَني إسْرائيلَ كانُوا يَقْتُلونَ ما بَيْنَ طُلُوعِ الفَجْرِ إلى طُلُوعِ الشَّمْسِ سَبْعينَ نَبِيّاً، ثُمَّ يَجْلِسُونَ فِي أسْواقِهِمْ يَبيعُونَ وَيَشْتَرونَ كأنْ لَمْ يَصْنَعُوا شَيْئا، فَلَمْ يُعَجِّلِ اللهُ عَلَيْهِمْ بَلْ أمْهَلَهُمْ وَأخَذَهُمْ بَعْدَ ذلِكَ أخْذَ عَزيزٍ ذي انْتِقامٍ، اتَّقِ اللهَ يا أبا عَبْدِ الرحمانِ، وَلا تَدَعْ نُصْرَتي».

وقال ابن قولويه: قال أبي وابن الوليد معاً، عن سعد، عن محمد بن أبي الصّهبان، عن ابن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن فضيل الرسان، عن ابي سعيد عقيصا، قال: سمعت الحسين بن علي عليهما السلام وخلا به عبد الله بن الزبير فناجاه طويلا قال: ثمّ أقبل الحسين عليه السلام بوجهه إليهم، وقال:

«إنّ هذا يقولُ لي كُنْ حَماماً مِنْ حَمامِ الْحَرَمِ، وَلإنْ أُقْتَلَ وَبَيْني وبَيْنَ الحَرَمِ باعٌ أحَبُّ إلَيَّ مِنْ أنْ أُقْتَلَ وبَيْني وبَيْنَهُ شِبْرٌ، وَلإنْ أُقْتَلَ بِالطَّفِّ أحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أُقْتَلَ بِالْحَرَمِ».

لقاؤه عليه السلام مع الأوزاعي

وقال أبو جعفر: وحدّثنا يزيد بن مسروق، قال: حدّثني عبد الله بن مكحول، عن الأوزاعي قال: بلغني خروج الحسين إلى العراق فقصدت مكة فصادفته بها، فلما رآني رحب بي وقال:

«مَرْحَباً بِكَ يا أوْزاعي، جِئْتَ تَنْهاني عَنِ الْمَسيرِ وَيَأبَى اللهُ إلاّ ذلِكَ، إنَّ مِنْ هاهُنا إلى يَوْمِ الإثْنَيْنِ مَنِيَّتي».

فجهدت في عدد الأيام فكان كما قال.

ثم جمع الحسين عليه السلام أصحابه الذين قد عزموا على الخروج معه إلى العراق فأعطى كل واحد منهم عشرة دنانير، وجملاً يحمل عليه زاده ورحله.

خطبة الإمام سلام الله عليه قبل خروجه

ولما أراد الخروج من مكة طاف وسعى وأحلّ من إحرامه وجعل حجّه عمرة؛ لأنه لم يتمكن من إتمام الحج مخافة أن يقبض عليه.

وروي أنه عليه السلام لما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً فقال:

«ألحَمْدُ للهِ ما شاءَ اللهُ، وَلا قُوَّةَ إلاّ بالله، وَصَلّى الله عَلى رَسُوله، خُطَّ الْمَوْتُ عَلى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ القِلادَةِ عَلى جيدِ الفَتاةِ، وَما أوْلَهَني إلى أسْلافي إشْتياقَ يَعْقُوبَ إلى يُوسُفَ، وَخُيِّرَ لي مَصْرَعٌ أنا لاقيهِ كأنّي بَأوْصالي تَقْطَعُها عَسَلانُ الْفَلَواتِ بَيْنَ النَّواويسِ وكَرْبَلاءَ فَيَمْلأنَّ مِنّي أكْراشاً جَوْفاً وَأجْرِبَةً سَغْباً، لا مَحيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بالْقَلَمِ، رِضَى اللهِ رضانا أهْلَ الْبَيْتِ، نَصْبِرُ عَلى بَلائِهِ وَيُوَفّينا أجْرَ الصّابِرينَ لَنْ تَشُذَّ عَنْ رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم لَحْمَتُهُ، وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حَظيرَةِ القُدْسِ، تُقَرُّبِهِمْ عَيْنُهُ وَيُنْجِزُ بِهِمْ وَعْدَهُ مَنْ كانَ باذِلاً فينا مُهْجَتَهُ، وَمُوَطِّناً عَلى لقاءِ اللهِ نَفْسَهُ فَلْيَرْحَلْ مَعَنا فإنَّني راحِلٌ مُصْبِحاً إنْ شاءَ اللهُ تَعالى».

وخطب ما بعدها، هذه الخطبة فقال:

«إنَّ الْحِلْمَ زينَةٌ، وَالْوَفاءَ مُرُوءَةٌ، وَالصِّلَةَ نِعْمَةٌ، والاسْتِكْبارَ صَلَفٌ، وَالْعَجَلَةَ سَفَهٌ، وَالسَّفَهَ ضَعْفٌ، وَالْغُلُوَّ وَرْطَةٌ، وَمُجالَسَةَ أهْلِ الدِّناءَةِ شَرٌّ، وَمُجالَسَةَ أهْلِ الْفِسْقِ رَيْبَةٌ».

وروي أنه: سار محمد بن الحنفية إلى الحسين عليه السلام في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة فقال: يا أخي إنّ أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفتُ أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنك أعزّ من في الحرم وأمنعه.

فقال عليه السلام: «يا أخي قَدْ خِفْتُ أنْ يَغْتالَني يَزيدُ بْنُ مُعاوِيَةَ فِي الْحَرَمِ، فَأكونَ الَّذي يُسْتَباحُ به حُرْمَةُ هذا البَيْتِ».

فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن أو بعض نواحي البَرِّ، فإنك امنع الناس به ولا يقدر عليك أحد.

فقال عليه السلام: «أنْظُرُ فيما قُلْتَ».

ولما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها فقال له: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك.

قال عليه السلام: «بَلى».

قال: فما حداك على الخروج عاجلاً.

فقال عليه السلام: «أتاني رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بَعْدَ ما فارَقْتُكَ، فقال: يا حُسَيْنُ عليه السلام أخْرُجْ فَإنَّ اللهَ، قَدْ شاءَ أنْ يَراكَ قَتيلاً».

فقال له ابن الحنفية: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟!

فقال له: «قَدْ قالَ لي: إنَّ اللهَ قَدْ شاءَ أنْ يَراهُنَّ سَبايا».

وسلّم عليه ومضى صلوات الله عليه.[1]

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٣٢٠ ـ ٣٢٩.

التوحيد الفطري

الحلقة الأولى

قلنا إنّنا نستطيع أن نفهم المعرفة الفطرية بالله تعالى من مكانين في سورتين، وقد تناولنا الآيات من سورة الروم، ونتحدث الآن عن آيتين من سورة الأعراف.

فقال الله تبارك وتعالى في سورة الأعراف:

((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ))[1].

مضمون هاتين الآيتين هو أنّ الله سبحانه قد جعل بني آدم شهداء على أنفسهم فشهدوا بأنّ الله ربهم، والمكالمة والمواجهة التي جرت بينهم وبين الله حيث قال لهم تعالى:

((أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ)).

وهم أجابوه: بلى، لم تترك لهم عذراً للشرك، فهم لا يستطيعون أن يدّعوا: أنّنا كنا غافلين عن هذه الحقيقة، ولا يستطيعون أن يزعموا أنّنا كنا تابعين لآبائنا، فهم أشركوا ونحن اتّبعناهم من دون وعي، ولهذا فلا ينبغي أن نؤاخذ ونعاقب.

إنّ هذه الأعذار ليست مقبولة، لأنّ الله سبحانه قد كانت له تلك المحادثة والمواجهة مع أبناء آدم، وسمع منهم ذلك الجواب، هذا ما يفهم من الآيتين.

فالمفسرون يختلفون في توضيح معاني جمل الآيتين وارتباطهما ببعضهما، وبيان المقصود النهائي منهما، وتطرح بشأنهما أسئلة كثيرة، حتى قال بعضهم: إنّي عاجز عن فهم شيء منهما، وهما من الآيات المتشابهة التي لابدّ من تركها لأهلها.

والإنصاف هو أن نقول: إنّ هذه الآيات وإن كان الإبهام يغلفها وهي حقّاً من المتشابهات، ولكنّ كون آية من المتشابهات لا يعني أنها لا يستفاد منها شيء، ولا يمكن رفع التشابه عنها.

وبالتأمّل في الآيتين نستفيد شيئاً بوضوح تامّ، وإذا كان هناك إشكال فهو من ناحيتنا وليس راجعاً إلى مفاد الآية، فالآيتان تدلّان على أنّ الله سبحانه كانت له مواجهة مع كل فرد من أفراد الإنسان، قال لهم فيها: ألست بربّكم؟ قالوا: بلى، ولم تُبقِ هذه المواجهة عذراً لأيّ مشرك، فليس له أن يقول: إنّي، كنت غافلاً عن هذا التوحيد وعن عبادة الرب الخالق، ولا يستطيع أن يقول إني كنت تابعاً للآباء وقد حملوني على الشرك فمسؤولية الذنب تقع على عاتقهم وأنا لا ذنب لي.

كلاّ، إنّ كلَّ واحد من هذه الأعذار لا يقبل، وقد كان عليكم أن تلتفتوا إلى هذه الحقيقة، ولستم معذورين من الغفلة عنها، والتبعيّة للآباء ليست عذراً وجيهاً لأنّ لديكم من المعرفة ما يضمن لكم تشخيص الحقّ، فكيف تقتفون آثار الآباء وتشيحون بوجوهكم عن طاقات الإدراك التي منحتم إيّاها؟

إذن لا شك في كون الآية الكريمة تقصد إلى هذا الموضوع، والإبهام واقع في شيء آخر: وهو أنا لا نتذكر مثل هذا الموقف مع الباري جلّ وعلا، حيث قال لنا: ألست بربكم؟ وأجبنا: بلى، ولّما كنا لا نتذكر هذا الشيء فإنه يصعب علينا قبوله، وإلاّ فإنه لا شك أنّ الآية صريحة في هذا الأمر، أجل هناك بعض الأسئلة: في أيّ عالم حدث هذا؟ وما هي الظروف التي وقع فيها؟ وهل جرى هذا بشكل جماعيّ أم فرداً فرداً؟ وأمثالها.. .

وكل تفسير نتصوره لهذه المواجهة لا يمكن أن يُخرج الآية عن دلالتها على أنّ هذه المواجهة عبارة عن العلم الحضوري للإنسان بالله تعالى، إنّها ليست مكالمة من وراء ستار ولا غيابية، فمن الممكن أن يصيح شخص من وراء حجاب: ألست فلاناً؟ وأنت تجيبه: بلى أنت فلان، ولكن هذا ليس له قيمة، لابدّ أن يكون السؤال بشكل لا يقبل الخطأ وإلا فإن لك عذرا في الاشتباه، فلو فرضنا أن الشيطان نادى: ألست بربكم؟ وظن بعضهم أنه كلام الله فقال: بلى، إنه يقبل الخطأ، أي أن مجرد سماعنا لصوت لا يصلح دليلا على ان المتكلم من هو، ولا تقطع هذه المكالمة الأعذار، نعم تنفي المحادثة الأعذار عندما لا تبقي مجالا للاشتباه، بحيث يرى الطرف الآخر، فإذا جاء السؤال: ألست أباك؟ ينظر فيراه ثم يقول: بلى.

أما صرف الصوت الذي يطرق السمع

غيابيا ومن وراء ستار فإنه لا يقطع الأعذار، إذن تتضمن الآية الحديث عن مكالمة جرت بين الله والإنسان ولم تبق عذراً للإنسان في الخطأ في التطبيق، فكل عذر يتوسل به الإنسان يوم القيامة قائلاً لله: أنا لم أعرفك أو لم أعبدك لهذا السبب، فإنه عذر غير مقبول بسبب هذه المواجهة التي تمّت بين الله والإنسان، هذا هو مفاد الآية.

وكل إنسان تكون له مواجهة مع الله بحيث يقول له: ألست بربّك؟ وهو يجيب: بلى، فهي لا تقطع الأعذار إلاّ إذا كانت بالشهود والعلم الحضوري، حيث يعرف فيها ذات الله، ويكسب معرفة بربّه لا تقبل الخطأ في التطبيق.

ويؤيّد هذا الاستظهار روايات متعددة منقولة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام في ذيل هذه الآية الكريمة، وجميع هذه الروايات متقاربة من حيث المضمون ومعتبرة من حيث السند، وهي مدرجة في التفاسير أو الكتب الروائيّة مثل: أصول الكافي وتفسير علي بن إبراهيم ـ تفسير البرهان ـ تفسير نور الثقلين، ومضمون هذه الروايات أنّ الراوي يسأل الإمام الباقر عليه السلام أو الإمام الصادق عليه السلام ـ أغلب الروايات عن هذين الإمامين الكريمين ـ: «معاينة كان هذا؟ قال: نعم».

المعاينة مصدر من عاين ـ يعاين ـ معاينة، أي النظر إلى الشيء، فعندما نقول: معاينة الطبيب، نقصد أنه لم يكتف بالمعلومات المنقولة له من المريض بل رآه بعينه وسأله، «معاينة كان هذا؟ قال: نعم»، أي أنهم رأوا الله عياناً.

«ثبتت المعرفة في نفوسهم ونسوا الموقف».

أمّا البحث عن كيفية هذه المعاينة والعالم الذي حدثت فيه هذه المواجهة وتفاصيل الموقف فهي جزئيّات لا علاقة لها بأصل البحث، ونحن نعترف بأنّ الإبهام يكتنف هذه الأمور، ولكنه لا إبهام في أصل الموضوع الذي تقصده الآية، وهو صالح للانطباق على العلم الحضوري الذي ندّعيه ونعتقد به، فحسب الشواهد التي ذكرناها يريد القرآن أن يقول إنّ للإنسان شهوداً بالنسبة لله، لا أنه قد سمع صوتاً فقط يقول: ألست بربّكم؟ بل كانت هناك مكالمة حضورية.

ولا يغيب عن القراء الكرام أننا عندما نستعمل هذه الكلمات (الرؤية)، (المعاينة)، (الشهود) فنحن لا نقصد إطلاقاً الرؤية بالعين والوسائل الحسّية، وهذا يشبه قولي: إنّي أرى نفسي أنا المتحدّث والمدرك والمفكّر، فالروح هو الموجود المفكر وهو لا يرى بالعين، والمقصود هنا هو الشهود القلبي والعلم الحضوري، وما يشبه هذه من تعبيرات تستعمل لتدّل على أنّ الإدراك لم يكن بالعين ولا بالحواس، وإنما هو إدراك باطنيّ نفسيّ.

وفي الروايات الواردة في هذا الباب ملاحظات دقيقة بودّي أن أشير إلى طرف منها:

«ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه».

ولو كان الإنسان غير مزوّد بالعلم الحضوري لاستطاع فقط أن يفهم هذه الحقيقة وهي أنّ هناك موجوداً يقوم بهذا العمل الخاص، ونقرب هذا للذهن فنقول: إذا كنتم لم تشاهدوا البنّاء وهو يبني عمارة ما، أو لم تشاهدوا صاحب الصنعة وهو يصنع ما تخصص في صناعته ثم رأيتم العمارة أو ذلك الشيء المصنوع فإنكم تستطيعون أن تفهموا أنّ هناك شخصاً بنى العمارة أو صنع هذا الشيء، وتستطيعون أيضاً الإلمام بصفات الصانع من صفات المصنوع، فكلما كانت الدقة والمهارة في المصنوع أكثر كانت دلالته أعظم على فن ونشاط ومهارة الصانع.

فأنتم على هذا الحد تستطيعون معرفة المؤثر من معرفة الأثر، ولكنكم بالتالي لا تستطيعون أن تعرفوا الصانع بشخصه من هذه الاستدلالات، نعم تفيدكم هذه المعرفة أنّ هناك صانعاً ماهراً صاحب ذوق، ولكنّه من هو؟ لا تستطيعون أن تعرفوه من هذه الاستدلالات، وهي لا تؤدي بنا إلى إدراك شخصه.

الأدلة العقلية تنبئنا أنّ للكون خالقاً حكيماً ومبدعاً قديراً لا يغلب، ولكن هذه مفاهيم كلية، هناك موجود خالق قدير عليم حكيم، ولكن من هو؟ وأين هو؟ الاستدلال العقلي عاجز عن الجواب.

لو كانت تلك العلاقة القلبية الباطنية بيننا وبين الله مقطوعة لما استطعنا معرفة ذات الله، نعم كنا نستطيع معرفة أنّ للعالم خالقاً، ولكنه من هو؟ لسنا ندري، ومعرفة الخالق بشخصه لا تتيسّر إلاّ إذا حصلنا على لون من الشهود بالنسبة إليه، وإلاّ كانت معرفتنا له كلّيّة.

وفي هذه الرواية تعبير دقيق فهي لم تقل: لم يدرك أحد أنّ له خالقاً ورازقاً، لأننا نعلم أنّ هذا الشهود ـ حتى إذا لم يكن ـ فإنّ عقل الإنسان يفهم أنّ للعالم خالقاً ويفهم أيضاً صفاته ولكنه عندئذٍ لا يعرف شخصه، ونتيجة لهذه المواجهة الحضورية فقد انعقدت علاقة وثيقة بين قلوبنا وذات الله جلّ جلاله، وعندما نغور إلى أعماق قلوبنا فسوف نصل على ذات الله تعالى، لا أننا نعرف أنّ هناك خالقاً فقط، ولهذا تقول الرواية:

«لم يدر أحد من خالقه ورازقه».

نسأل الله أن تكون أفكارنا وأرواحنا حاضرة في الدعاء والمناجاة حتى ندرك هذه العلاقة القلبية بالله، فالإنسان إذا صرف انتباهه عن كل شيء وركزه تماماً واتجه نحو الله فإنه سوف يرتفع إلى آفاق شاهقة يدرك فيها ذات الله تعالى، لا أنه يكلمه من وراء حجاب: أيّها الموجود فوق السماوات والأرض وتدبّر شؤون الكون، كلاّ، وإنما كأنه يسمع حديثه، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام معلّقاً على الآية الكريمة:

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[(٢)]

«ألا إن للذكر أهلا اتّخذوه من الدنيا بدلاً».

والإمام عليه السلام يصف أهل الذكر الذين ينفقون حياتهم في ذكر الله قائلاً:

«فناجاهم في سرّهم».

أي أنّ الله يناجيهم في الخفاء، فهو عليه السلام لا يقول إن العبد يناجي ربه، بل يقول إنّ الله يناجي عبده، فالعبد يسمع أسرار الرب.

ما أعظم الإنسان، فهو يستطيع أن يصل إلى مثل هذه الدرجات العالية، ولا يقتصر هذا الأمر على الأنبياء والأولياء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، بل يشمل التابعين بصدق ووفاء للأنبياء والأوصياء المعصومين فهؤلاء قد جاءوا لينتشلوا الآخرين ويجرّوهم نحوهم وليقرّبوهم من تلك الآفاق الرفيعة التي انتهوا إليها.[(٣)]

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٧٢ ـ ١٧٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٣) معارف القرآن الكريم للأستاذ محمد تقي المصباح: ص٤٧ ـ ٥٢.

عالم الملائكة في نهج البلاغة

الحلقة الأولى

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
«ثُمَّ فَتَقَ ما بَيْنَ السَّمَوات الْعُلا فَمَلاَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلائكته، مِنْهُمْ سُجُودٌ لا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لا يَنْتَصِبُونَ، وَصافُّونَ لا يَتَزايَلُونَ، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ، لا يَغْشاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَلا سَهْوُ الْعُقُولِ وَلا فَتْرَةُ الأَبْدانِ وَلا غَفْلَةُ النِّسْيانِ وَمِنْهُمْ أُمَناءُ عَلَى وَحْيِه، وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِه، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضائه وَأَمْرِه، وَمِنْهُمُ الْحَفَظَةُ لِعِبادِه وَالسَّدَنَةُ لأَبْوَابِ جِنانِه، وَمِنْهُمُ الثّابِتَةُ فِي الأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدامُهُمْ، وَالْمارِقَةُ مِنَ السَّماءِ الْعُلْيا أَعْناقُهُمْ وَالْخارِجَةُ مِنَ الأَقْطارِ أَرْكانُهُمْ، وَالْمُناسِبَةُ لِقَوائِمِ الْعَرْشِ أَكْتافُهُمْ ناكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصارُهُمْ مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَأَسْتارُ الْقُدْرَةِ، لا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ وَلا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفاتِ الْمَصْنُوعِينَ وَلا يَحُدُّونَهُ بِالأَماكِنِ وَلاَ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظائِرِ».

يواصل الإمام(عليه السلام) خطبته التي تطرق فيها إلى خلق السموات وكيفية ظهور العالم، فيتحدث عن خلق الموجودات السماوية وملائكة العالم العلوي فيشير بعبارات قصيرة بليغة إلى أصناف الملائكة وصفاتهم وخصائصهم وطبيعة أنشطتهم ومهامهم وعظم خلقتهم ومدى علو معرفتهم، فالواقع هو أنّ هذا القسم من الخطبة يختص بالتعريف بالملائكة.

فاستهل كلامه قائلاً: «ثم فتق مابين السموات العلا» فالذي يستفاد من هذا التعبير أنّه كانت هناك فواصل بين السموات وقد التحمت في البداية ثم ما لبثت أن انفصلت، وهذا بالضبط على الخلاف ممّا تضمنته نظرية بطليموس في أن السموات كأغطية البصل متراكمة على بعضها دون وجود أية فجوة. ثم قال الإمام(عليه السلام): «فملأهن أطواراً من ملائكته».

وقد ورد نظير هذه العبارة في الخطبة رقم ٩١ المعروفة بخطبة الأشباح حيث قال: «وملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم فتوق أجوائها» كما ورد في موضع آخر من هذه الخطبة قوله: «وليس في أطباق السماء موضع أهاب إلاّ وعليه ملك ساجد أو ساع حافد».

أصناف الملائكة

ثم يتطرق(عليه السلام) إلى أصناف، أو بعبارة أدق أطوار الملائكة فيقسمهم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: أرباب العبادة

ثم يقسم هؤلاء إلى أقسام، فمنهم من هو ساجد أبداً لم يقم من سجوده ليركع «منهم سجود لا يركعون». ومنهم من هو راكع أبداً لم ينتصب قط «وركوع لا ينتصبون».

ومنهم الصافون في الصلاة بين يدي خالقهم لا يتزايلون «وصافون لا يتزايلون». ذهب البعض إلى أنّ «صافون» هنا بمعنى الصف في العبادة، بينما ذهب البعض الآخر إلى انّ معناها فتح أجنحتهم في السماء بدليل الآية القرآنية القائلة: (أَوَ لَم يَرَوْا إِلَى الطَّيرِ فَوْقَهُمْ صافّات). وهناك إحتمال آخر أن يكون المراد بها الوقوف في صفوف منظمة والاستعداد لطاعة أوامر الله وامتثالها.

إلاّ انّ الاحتمال الأول أكثر انسجاماً مع الجمل السابقة واللاحقة، والواقع أنهم يمارسون الحالات الثلاث لعبادتنا في القيام والركوع والسجود. فالتعبير بصافين إمّا أنّه إشارة للصفوف المنظمة للملائكة، أو القيام المنظم لكل منها.

وهذا عين ما ورد في خطبته(عليه السلام) في وصف المتقين لهمام «أمّا الليل فصافون أقدامهم تالين لاجزاء القرآن».

وأخيراً المسبحون الذين لا يملون التسبيح والتحميد له سبحانه «ومسبحون لا يسأمون». فظاهر هذه الجملة يفيد أنّ هؤلاء طائفة اُخرى غير الطوائف الثلاث القائمة والراكعة والساجدة (و ان ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّ المسبحين هم الطوائف المذكورة سابقاً، حيث يمكن الاستشهاد ببعض الروايات التي تؤيد ماذهبوا إليه. فقد روي أنه سئل النبي(صلى الله عليه وآله): كيف صلاة الملائكة؟ فأطرق رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى نزل عليه جبرئيل (عليه السلام) فقال له: «إنّ أهل السماء الدنيا سجود إلى يوم القيامة يقولون سبحان ذي الملك والملكوت وأهل السماء الثانية ركوع إلى يوم القيامة يقولون سبحانه ذي العزة وأهل الجبروت وأهل السماء الثالثة قيام إلى يوم القيامة يقولون سبحان الحي الذي لا يموت».

لكن هل المراد بهذا السجود والركوع والقيام ذات أعمالنا في السجود والركوع والقيام أم إشارة إلى درجات خضوع الملائكة وعبادتهم حسب مراتبهم ومقاماتهم، المسألة محل بحث ونقاش. فاذا اعتبرنا الملائكة أجساماً لطيفة ولهم أيدٍ وأرجل ووجوه وجبهات فان المعنى الأول أنسب، وإن نفينا عنهم الأجسام، أو أقررنا بأن لهم جسماً غير أنّه ليس على غرار أجسامنا فان المعنى الثاني هو الأنسب (وسنتحدث

في الأبحاث القادمة عن هذا الأمر).

على كل حال فانّ هذه المجموعة من الملائكة منهمكة في عبادة الله وتسبيحه وتقديسه وكأن مهمتهم مقتصرة على العبادة فقط. والواقع هو أنّ هذه آية بيّنة من آياته سبحانه وعظمة مقامه وعلو شأنه وعدم حاجته إلى عبادة العباد، وبعبارة أخرى فانّ المحتمل أنّ فلسفة خلقة هؤلاء الملائكة هو عدم اغترار العباد من الناس بعبادتهم وليعلموا على فرض المحال أنّه لو كان بحاجة إلى العبادة فانّ هناك الملائكة المنهمكين بالعبادة فلا ينبغي أن يتصور عباد الله في الأرض ان عبادتهم أو عدمها ليست لها أدنى تأثير على كبرياء الله وعظمته، ولو كفروا جميعاً لما ضره ذلك ذرة (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ).

صفات هذا القسم من أقسام الملائكة

ثم أشار(عليه السلام)إلى صفات هؤلاء الملائكة فقال(عليه السلام): «لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان ولا غفلة النسيان». على العكس من الناس الذين يشعرون تدريجياً بالفتور من جراء تكرار العبادة

فيخالطهم النعاس فيصاب الجسم بالوهن والضعف ويعرض لهم السهو والنسيان.

إلاّ أنّ الملائكة بعيدون كل البعد عن هذه الحالات والعوارض. فهم على درجة من العشق للعبادة والاستغراق في المناجاة والتسبيح بحيث لا يعرض عليهم النوم والغفلة والفتور قط. وبعبارة أخرى فان الفتور في إداء الوظائف إنّما يستند إلى أمور ليست لها من سبيل إلى الملائكة أبداً. فأحياناً تتمثل تلك الأمور بالتعب وغفو العين وسهو العقول وضعف البدن وأحياناً أخرى بالغفلة والنسيان ولما كانت أي من هذه الأمور ليست لها من سبيل إلى الملائكة، فانّهم لا يفترون في عبادتهم قط.

القسم الثاني: الملائكة السفراء والرسل

ثم يعرض(عليه السلام) إلى القسم الثاني من الملائكة وهم السفراء بينه تعالى وبين المكلفين من البشر بتحمل الوحي الإلهي إلى الرسل «ومنهم أمناء على وحيه والسنة إلى رسله ومختلفون بقضائه وأمره» فهم في الواقع الواسطة بين الله والأنبياء. ونفهم من هذه العبارة أنّ السفارة الإلهية لا تقتصر على جبرئيل(عليه السلام)، بل هو في الحقيقة زعيم سفراء الله، القرآن بدوره أشار إلى هذا الصنف من الملائكة: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ)، وقال في آية أخرى: (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ)، كما أشار أحياناً إلى الملائكة من حملة الوحي فقال: (يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ).

كما أشارت بعض الروايات الإسلامية وسائر خطب نهج البلاغة إلى هذا المعنى أيضاً. وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ المراد بالقضاء والأمر الإلهي الوارد في العبارة التي نخوض فيها هو الأحكام والأوامر الدينية الشرعية، لا القضاء والأوامر التكوينية التي احتملها البعض من شارحي نهج البلاغة؛ وذلك لعدم انسجام هذا الاحتمال والعبارات السابقة. التي طرحت مسألة أمناء الوحي.، امّا (مختلفون) هنا فقد جاءت من مادة الاختلاف بمعنى الذهاب والإياب والتردد على الأماكن.

القسم الثالث: الملائكة الحفظة والسدنة

ثم أشار(عليه السلام) إلى القسم الثالث من الملائكة «ومنهم الحفظة لعباده والسدنة(١) لأبواب جنانه». «حفظة» جمع حافظ بمعنى الحارس، ويمكن أن يكون لها هنا معنيان: أحدهما حفظها للعباد بمراقبة أعمالهم وإحصائها وتسجيلها، كما أشارت إلى ذلك الآية الرابعة من سورة الطارق القائلة (وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ ❖ كِراماً كاتِبِينَ) وضرب آخر من هؤلاء الملائكة الذين يحفظون البشر من المهالك والورطات والبلاء، ولولا ذلك لكان الإنسان مسرحاً للفناء والزوال والاعطاب، وهذا ما صرّحت به الآية الحادية عشرة من سورة الرعد: (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ).

وَلَكن يبدو أنّ المَعنى الأول أنسب بالالتفات إلى العبارات السابقة التي تحدثت عن الوحي والتكاليف الشرعية، والعبارة اللاحقة التي أشارت إلى الجنّة وجزاء الأعمال، وإن لم يستبعد الجمع بين المعنيين عن مفهوم العبارة.

أمّا مفردة سدنة فهى جمع سادن بمعنى البواب، وجنان على وزن كتاب واحدها جنة، والذي يستفاد من هذه العبارة إنّ لله عدّة جنان، ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّها ثمانية كما وصفها القرآن وهى «جنّة النعيم، جنّة الفردوس، جنة الخلد، جنّة المأوى، جنّة عدن، دار السلام، دار القرار وجنّة عرضها السموات والأرض».

القسم الرابع: حملة العرش

وأمّا القسم الرابع من الملائكة فهم حملة العرش، الذين وصفهم(عليه السلام) بقوله «ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم والمارقة من السماء العليا أعناقهم والخارجة من الأقطار أركانهم والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم ناكسة دونه أبصارهم متلفعون تحته بأجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة وأستار القدرة» ثم يستغرق(عليه السلام) أكثر في التعرض لصفاتهم فيقول: «لا يتوهمون ربّهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالأماكن ولا يشيرون إليه بالنظائر».

أجل فقدرتهم ليست قدرة جسمانية، بل يتمتعون بقدرة روحانية خارقة متعذرة على الإنسان، ومن هنا أوكلت لهم مهمّة حمل العرش. والواقع أنّهم بلغوا أعظم مقامات التوحيد بحيث أصبحوا قدوة في التوحيد لكافة عباد الله ولا سيما أولياء الله البارزين من الناس. فهم لا يرون من مثيل وشبيه ونظير لله قط، كما لا يرون من حدود لذاته وصفاته سبحانه، حتى أنّهم يرونه أعظم من الخيال والقياس والظن والوهم؛ وذلك لأنّ كل ما يتصوره الإنسان أو الملك إنّما هو مخلوق لله والله أعظم من أن يكون مخلوقاً. أمّا المراد بالعرش وحملة العرش وماهية وظائفهم والمفاهيم التي وردت في هذه العبارات، فهذا ما سنتناوله في هذه الأبحاث.



طاعة الشيطان وآثارها على الإنسان

قال الإمام الحسين عليه السلام: ((وأحذركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم فإنه لكم عدو مبين، فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم ((لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم)) فتلقون للسيوف ضربا، وللرماح وردا، وللعمد حطما، وللسهام غرضا، ثم لا يقبل من نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا)).

لا يحتاج المؤمن إلى بيان عداوة الشيطان ولا يحتاج إلى معرفة طرق النجاة منه بعد أن صرح القرآن الكريم بذلك كما في قوله تعالى: ((إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير))(سورة فاطر، الآية: ٦).

وقوله تعالى: ((قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين))(سورة يوسف، الآية: ٥).

وقوله تعالى:((وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا)) (سورة الإسراء، الآية: ٥٣).

ولكن لا بأس في التذكير بعداوة الشيطان والتحذير من حبائله لاسيما إذا عرفنا أن لإبليس طرقا خفية ومكائد كثيرة وأفخاخا متعددة يصطاد بها من يغفل عنه، ولكي نقف على تحذيرات أهل البيت عليهم السلام ونواهيهم عن إتباع الشيطان لابد من ذكر ما ورد عنهم (صلوات الله عليهم أجمعين):

١- ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يبين أن الشيطان عدو لا صلح معه ولا هدنة حينما يعظ ابن مسعود يقول: ((يا بن مسعود، اتخذ الشيطان عدوا؛ فإن الله تعالى يقول: ((إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا)) (مكارم الأخلاق: ج٢، ٢٣٥٤، ح٢٦٦٠. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩١٩ - ١٩٢٠، ح٩٣٦٩).

٢- وحذر أمير المؤمنين عليه السلام من الشيطان لما له من قدرة على اقتحام قلوب المؤمنين:((احذروا عدوا نفذ في الصدور خفيا، ونفث في الآذان نجيا)) (غرر الحكم: ٢٦٢٣. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٢٠، ح٩٣٧١).

٣- جاء عن الإمام الصادق عليه السلام ما يؤكد أن للشيطان أفخاخا ومكائد كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:((لقد نصب إبليس حبائله في دار الغرور، فما يقصد فيها إلا أولياءنا))(تحف العقول: ص٣٠١. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٢٠، ح٩٣٧٥).

٤- حذر أمير المؤمنين عليه السلام من فتن الشيطان وذلك من خلال بيان هذه الفتن:((الفتن ثلاث: حب النساء وهو سيف الشيطان، وشرب الخمر وهو فخ الشيطان، وحب الدينار والدرهم وهو سهم الشيطان)) (كنز العمال: ٣٠٨٨٣. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٢١، ح٩٣٧٦).

٥- ولشدة تأثير الشيطان على الإنسان يعلمنا الإمام السجاد عليه السلام في مناجاته كيف ندعو الله تعالى لينجينا منه كما في قوله عليه السلام: ((إلهي أشكو إليك عدوا يضلني، وشيطانا يغويني، قد ملأ بالوسواس صدري، وأحاطت هواجسه بقلبي، يعاضد لي الهوى، ويزين لي حب الدنيا، ويحول بيني وبين الطاعة والزلفى)) (بحار الأنوار: ج٩٤، ص١٤٣، ح٢١. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٢٠، ح٩٣٧٢).

بعد أن عرفنا مكائد الشيطان وحبائله وفتنه صار لزاما علينا مجاهدة هذا المخلوق الذي لا هم له إلا إيقاعنا في معصية الله تعالى، وهذا ما أكده الإمام الكاظم عليه السلام بقوله لما سئل عن أوجب الأعداء مجاهدة: «أقربهم إليك وأعداهم لك... ومن يحرض أعداءك عليك، وهو إبليس» (تحف العقول: ص٣٩٩. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٢٠، ح٩٣٧٠).

فعدم الابتعاد عن الشيطان يوجب الوقوع في معصية الله تعالى بل يوجب الوقوع في شرك الطاعة وهذا الشرك هو أحد أنواع الشرك الذي قالت عنه الآية الكريمة: ((وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم))(سورة لقمان، الآية: ١٣).

ولنوضح الأمر نقول: إن الأوامر تصدر من الله تعالى أو من قبل أنبيائه ورسله وأوليائه فلذلك قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)) (سورة النساء، الآية: ٥٩).

وهذه الأوامر لا شك أنها تصب في مصلحة الإنسان في الدنيا وتكسبه الجنان في الآخرة، إلا أن هناك طرفا آخر يصدر أوامر مخالفة للأوامر الإلهية بل يزين ويسول لنا لنطيعه في هذه الأوامر ألا وهو إبليس، فإن أطعناه في أوامره هذه وأطعنا الله تعالى في أوامر أخرى نكون قد أشركنا في طاعة الله تعالى أمرا آخر وخرجنا عن عنوان التوحيد في الطاعة فلذا الحذر الحذر من الوقوع في الشرك، وهذا لا يتم إلا من خلال مخالفة الشيطان والابتعاد عن المقدمات التي تفضي إلى معصية الله تعالى فضلا عن نفس المعصية والتمسك بأوامر الله تعالى ونواهيه.

آثار طاعة الشيطان على الإنسان

لكل عمل أثر وضعي أو غير وضعي، وهكذا طاعة الشيطان فإن لها آثارا وخيمة وضعية أو غير وضعية كما في الزنا (على سبيل المثال) الذي يقع فيه الإنسان نتيجة وسوسة الشيطان وتزيينه للزاني والزانية، نلاحظ أن الأثر الوضعي هو فساد الحرث والنسل والسقوط عن أعين الناس وغيرها من الآثار الوخيمة وأما الأثر الشرعي فهو الجلد لغير المحصن والرجم للمحصن وغير ذلك من الأمثلة التي لها آثار وضعية أو شرعية أو غير ذلك.

ولكي يتضح الأمر جليا لابد من التأمل فيما ورد عن أهل بيت الحكمة والعصمة عليهم السلام.

قبل أن أشير إلى آثار طاعة الشيطان التي وردت في الروايات أريد أن ألخص ذلك في هذه العبارة المستقاة من الآيات والروايات ألا وهي (أن طاعة الشيطان توجب سخط الرحمن ودخول النيران في الآخرة، وضنك العيش وعدم راحة القلب والشقاء في الدنيا) وباختصار (طاعة الشيطان شقاء الدنيا والآخرة) ولكي نؤكد هذا المعنى لا بأس بالاطلاع على الآيات والروايات التي أشارت إليه وهي كما يلي:

١- قوله تعالى: ((يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون)) (سورة الأعراف، الآية: ٢٧).

يبين لنا ما حصل لأبوينا رغم أنهما لم يطيعوه في معصية، إذ إنهما خالفا الأمر الإرشادي الذي أمرهما الله تعالى به إلا أن طاعة الشيطان أخرجتهما عن الجنة وما فيها من روح وريحان إلى دنيا الألم والعذاب والكد والتعب.

٢- قوله تعالى: ((ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ❖ كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير))(سورة الحج، الآيتان: ٣ و٤).

يوضح أن إتباع الشيطان يوصل إلى الضلال بل الهلاك في عذاب جهنم في الدنيا والآخرة.

٣- قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم))(سورة النور، الآية: ٢١).

يؤكد على أن الشيطان لا يريد للإنسان إلا أن يعيش قبيحا نجسا بعيدا عن كل ألوان الطهارة والحسن والجمال.

٤- قوله تعالى: ((كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين))(سورة الحشر، الآية: ١٦).

تشير هذه الآية الكريمة إلى خذلان الشيطان للإنسان الذي وقع في إغرائه، وتصرح بأن طاعته قد تؤدي إلى الخروج عن الدين في بعض الأحيان.

٥- طاعة الشيطان توجب الوقوع في الزلل والخوض في الباطل، بل تلغي شخصية المؤمن ويحل إبليس بدلا عنها في أفعالها وأقوالها وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام في ذم أتباع الشيطان: «اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكا، واتخذهم له أشراكا، فباض وفرخ في صدورهم، ودب ودرج في حجورهم، فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزلل، وزين لهم الخطل، فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه، ونطق بالباطل على لسانه!»(نهج البلاغة: الخطبة ٧. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٢٢، ح٩٣٨١).

٦- طاعة إبليس توجب الوقوع في الجرائم والكبائر حتى تصل إلى درجة الكفر كما في قول الإمام علي عليه السلام: ((إن رجلا كان يتعبد في صومعة، وإن امرأة كان لها إخوة فعرض لها شيء فأتوه بها، فزينت له نفسه فوقع عليها، فجاءه الشيطان فقال: أقتلها فإنهم إن ظهروا عليك افتضحت، فقتلها ودفنها، فجاؤوه فأخذوه فذهبوا به، فبينما هم يمشون إذ جاءه الشيطان فقال: إني أنا الذي زينت لك فاسجد لي سجدة أنجيك، فسجد له، فذلك قوله: ((كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين))(الدر المنثور: ج٨، ص١١٦. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٢٢ ـ ١٩٢٣، ح٩٣٨٣).

٧- طاعة إبليس توجب الاتصاف بكل رذيلة كالتكبر والحسد والبغي كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ((يقول إبليس لجنوده: ألقوا بينهم الحسد والبغي؛ فإنهما يعدلان عند الله الشرك))(الكافي: ج٢، ص٣٢٧، ح٢. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٢٧، ح٩٣٩٣).

٨- أخطر ما يقع فيه الإنسان بعد طاعته للشيطان هو نسيان ربه ثم الوقوع في الخسران المبين كما في قوله تعالى: ((استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون))(سورة المجادلة، الآية: ١٩).

٩- إتباع الشيطان يوجب ضرورة التابع من أوليائه وحزبه فينالهم الخوف كما في قوله تعالى: ((إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين))(سورة آل عمران، الآية: ١٧٥).

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

ابتناء التوكل على حصر المؤثر في الله تعالى

الحلقة الأولى



اعلم: أنه لا يمكن التوكل على الله تعالى في الأمور حق التوكل إلا بالبلوغ إلى المرتبة الثالثة من التوحيد، وهي التي يرتبط بها التوكل دون غيرها من المراتب، إذ المرتبة الرابعة لا يتوقف ولا يبتني عليها التوكل، والأولى مجرد نفاق لا يفيد شيئاً.

والثانية ـ أعني مجرد التوحيد بالاعتقاد ـ لا يورث حال توكل كما ينبغي، فإنه موجود في عموم المسلمين مع عدم وجود التوكل كما ينبغي فيهم.

فالمناط في التوكل هو ثالث المراتب في التوحيد، وهو أن ينكشف للعبد بنور الحق أن لا فاعل إلا الله، وأن كل موجود: من خلق ورزق وعطاء ومنع وغنى وفقر، وصحة ومرض، وعز وذل، وحياة وموت... إلى غير ذلك مما يطلق عليه اسم، فالمتفرد بإبداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه، وإذا انكشف له هذا لم ينظر إلى غيره، وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة في ملكوت السماوات والأرض وإذا انفتح له أبواب المعارف اتضح له هذا اتضاحاً أتم من المشاهدة بالبصر، وإنما يصده الشيطان عن هذا التوحيد، ويوقع في قلبه شائبة الشرك بالالتفات على بعض الوسائط التي يتراءى في بادي النظر منشئيتها لبعض الأمور، كالاعتماد على الغيم في نزول المطر، وعلى المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه، وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها، وعلى بعض نظرات الكواكب واتصالاتها في حدوث بعض الحوادث في الأرض، وكالالتفات إلى اختيار بعض الحيوانات وقدرتها على بعض الأفعال، فيوسوس الشيطان في قلبه ويقول له: كيف ترى الكل من الله تعالى، وهذا الإنسان يعطيك رزقك باختياره فإن شاء أعطاك وإن شاء منع، وهذا الشخص قادر على جز رقبتك بسيفه فإن شاء جز رقبتك وإن شاء عفا عنك، فكيف لا تخافه ولا ترجوه وأمرك بيده، وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه؟!

ولا ريب في أن أمثل هذه الالتفاتات جهل بحقائق الأمور، ومن مكن الشيطان منه وسلطه على نفسه حتى يوقع هذه الوساوس في قلبه فهو من الجاهلين بأبواب المعارف، إذ من انكشف له أمر العالم كما هو عليه، علم أن السماء والكواكب والريح والغيم والمطر والإنسان والحيوان... وغير ذلك من المخلوقات كلهم مقهورون مسخرون للواحد الحق الذي لا شريك له، فيعلم أن الريح مثلاً هواء، والهواء لا يتحرك نفسه ما لم يحركه محرك، وهذا المحرك لا يحرك الهواء ما لم يحركه على التحريك محرك آخر... وهكذا إلى أن ينتهي على المحرك الأول الذي لا تحرك له ولا هو متحرك في نفسه.

وكذا الحال في توسط غيره من الافلاك ونجومها، وكائنات الجو، والموجودات على الأرض من الجماد والنبات.

فالتفات العبد في نجاته إلى بعض الأشياء من الرياح والأمطار أو الإنسان أو الحيوان يضاهي التفات من أخذ لتجز رقبته، فأمر الملك كاتبه بأن يكتب توقيعاً بالعفو عنه وتخليته، فأخذ العبد يشتغل بمدح الحبر أو الكاغد أو القلم أو الكاتب، ويقول: لولا الحبر أو القلم أو الكاغد أو الكاتب ما تخلصت، فيرى نجاته من الحبر والكاغد دون القلم أو من القلم دون محركه ـ أعني الكاتب ـ أو من الكاتب دون الملك الذي هو محرك الكاتب ومسخره.

ومن علم أن القلم لا حكم له في نفسه وإنما هو مسخر في يد الكاتب، وأن الكاتب لا حكم له وإنما هو مسخر تحت يد الملك، لم يلتفت إلى القلم والكاتب ولم يشكر خلا الملك، بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك عن أن يخطر بباله الكاغد والحبر والقلم والكاتب.

ولا ريب في أن جميع المخلوقات من الشمس والقمر والنجوم والغيم والمطر والارض وكل حيوان أو جماد مسخرات في قبضة القدرة، كتسخير الكاتب في يد السلطان بل هذا تمثيل في حق العبد لاعتقاده أن الملك الموقع هو الكاتب حقيقة، ليس الأمر كذلك، إذ الحق أن الكاتب هو الله سبحانه كما قال تعالى:

((وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ)).[1]

فمن انكشف له ان جميع ما في السماوات والارض مسخرات للواجب الحق، لم ير في الوجود مؤثراً إلا هو، وانصرف عنه الشيطان خائباً، وأيس عن مزج توحيده بهذا الشرك.

وأما من لم ينشرح بنور الله صدره، وقصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السماوات والارض ومشاهدة كونه وراء الكل، فوقف في الطريق على بعض المسخرات، وهو جهل محض.

وغلطه في ذلك كغلط النملة مثلاً لو كانت تدب على الكاغد فترى رأس القلم يسود الكاغد، ولم يمتد بصرها إلى الأصابع واليد، فضلاً عن صاحب اليد، وظنت أن القلم هو المسود للبياض، وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حدقتها.

مناجاة السر لأرباب القلوب

قال بعض العارفين: أرباب القلوب والمشاهدات قد أنطق الله في حقهم كل ذرة في الأرض والسماوات بقدرته التي انطق بها كل شيء، حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها وشهادتها على نفسها بالعجز، بلسان الواقع الذي هو ليس بعربي ولا أعجمي، وليس فيه حرف وصوت، ولا يسمعه أحد إلا بالسمع العقلي الملكوتي دون السمع الظاهر الحسي الناسوتي، وهذا النطق الذي لكل ذرة من الأرض والسماوات مع أرباب القلوب إنما هو (مناجاة السر)، وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى، فإنها كلمات تستمد من بحر كلام الله الذي لا نهاية له.

قال الله تبارك وتعالى:

((قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا))[٢].

ثم إنها لما كانت مناجية بأسرار الملك والملكوت، وليس كل أحد موضعاً للسر، بل صدور الأحرار قبور الأسرار، فاختصت مناجاتها بالأحرار من أرباب القلوب.

وهم أيضاً لا يحكمون هذه الأسرار لغيرهم، إذ إفشاء السر لؤم، وهل رأيت قط أميناً على أسرار الملك قد نوجي بخفاياه فينادي بها على الملأ من الخلق، ولو جاز افشاء كل سر لما نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن إفشاء سر القدر، ولما خص أمير المؤمنين عليه السلام فإذن عن حكايات مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب أرباب المشاهدة مانعان:

(أحدهما) أمنع عن إفشاء السر.

(ثانيهما) خروج كلماتها عن الحصر والنهاية.

ونحن نحكي في فعل الكتابة قدراً يسيراً من مناجاة بعض ما يرى أسباباً ووسائط، واقرارها بالعجز على أنفسها، ليقاس عليه جميع الأفعال الصادرة عن جميع الأسباب والوسائط المسخرة تحت قدرة الله، ويفهم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه، ونرد لضرورة التفهم كلماتها الملكوتية إلى الحروف والأصوات، وإن لم تكن أصواتاً وحروفاً، فنقول:

قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله للكاغد، وقد رأى وجهه أسود بالحبر: (لم سودت وجهك وقد كان أبيض مشرقاً؟).

فقال: (ما سودت وجهي، وإنما سوده الحبر، فاسأله لم فعل كذا؟).

فسأل الحبر عن ذلك، فقال: (هذا السؤال على القلم الذي أخرجني من مستقري ظلماً).

فسأل القلم: فأحاله إلى اليد والأصابع، وهي إلى القدرة والقوة، وهي إلى الإرادة، معترفاً كل واحد منهم بعجز نفسه، وبكونه مقهوراً مسخراً تحت قهر المحال عليه من دون استطاعة لمخالفته.

ولما سأل الإرادة، قالت: (ما انتهضت بنفسي، بل بعثت على إشخاص القدرة وإنهاضها، وبحكم رسول قاهر ورد علي من حضرة القلب بلسان العقل، وهذا الرسول هو العلم، فالسؤال عن انتهاضي يتوجه على العقل والقلب والعلم).

ولما سألها قال (العقل): (أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكني أشعلت).

وقال (القلب): (أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بسطت).

وقال (العلم): (أما أنا فنقش نقشت في لوح القلب لما أشرق سراج العقل، وما انتقشت بنفسي بل نقشني غيري، فسلم القلم الذي نقشني ورسمني على لوح القلب بعد اشتعال سراج العقل).

وقال (العلم): (أما أنا فنقش نقشت في لوح القلب لما أشرق سراج العقل، وما انتقشت بنفسي بل نقشني غيري، فسل القلم الذي نقشني ورسمني على لوح القلب بعد اشتعال سراج العقل).

وعند هذا تحير السائل وقال: (ما هذا القلم وهذا اللوح وهذا الخط وهذا السراج؟ فإني لا أعلم قلماً إلا من القصب، ولا لوحاً إلا من الحديد أو الخشب، ولا خطاً إلا بالحبر، ولا سراجاً إلا من النار، وإني لأسمع في هذا المنزل حديث اللوح والقلم والخط والسراج، ولا أشاهد من ذلك شيئاً).

فقال له (العلم): (فإذن بضاعتك مزجاة، وزادك قليل، ومركبك ضعيف، والمهالك في الطريق الذي توجهت إليه كثيرة، فإن كنت راغباً في استتمام الطريق إلى المقصد، فاعلم أن العوالم في طريقك ثلاثة:

(أولها) عالم الملك والشهادة، ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد والأصابع من هذا العالم، وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة.

(وثانيها) عالم الملكوت الأسفل وهو يشبه السفينة التي بين الأرض والماء، فلا هي في حد اضطراب الماء، ولا هي في حد سكون الأرض وثباتها، والقدرة والإرادة والعلم من منازل هذا العالم.

(وثالثها) عالم الملكوت الأعلى، وهو من ورائي، فإذا جاوزتني انتهيت على منازله.

وأول منازله القلم الذي يكتب به العلم على لوح القلب وفي هذا العالم المهامه الفسيحة والجبال الشاهقة والبحار المغرقة).

فقال له السائل السالك: (قد تحيرت في أمري ولست أدري أني أقدر على قطع هذا الطريق المخوف أم لا، فهل لذلك علامة أعرف بها تمكني على قطع هذا الطريق؟).

فقال: (نعم! إفتح بصرك، واجمع ضوء عينك وحدقه نحوي، فإن ظهر لك القلم الذي به يكتب في لوح القلب، فيشبه أن تكون أهلاً لهذا الطريق، فإن كل من جاوز الملكوت الأسفل وقرع أول باب من الملكوت الأعلى كوشف بالقلم، أما ترى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كوشف به وأنزل عليه قوله تعالى:

((ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ))[٣].

وهذا القلم قلم إلهي ليس بقصب ولا خشب، أو ما سمعت أن متاع البيت يشبه رب البيت؟ وقد علمت أن الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات فليس في ذاته بجسم ولا هو في مكان، فكذلك لا تشبه يده سائر الأيدي، ولا قلمه سائر الأقلام، ولا كلامه سائر الكلام، ولا خطه سائر الخطوط.

بل هذه أمور إلهية نم عالم الملكوت الأعلى، فليست يده من لحم وعظم ودم، ولا قلمه من قصب، ولا لوحه من خشب، ولا كلامه من صوت وحرف، ولا خطه من نقش ورسم ورقم، ولا حبره من زاج وعفص.

فإن كنت لا تشاهد هذا هكذا فأنت من أهل التشبيه والتجسيم وما عرفت ربك إذ لو نزهت ذاته تعالى وصفاته عن ذات الأجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن الحروف والأصوات، فما بالك تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه، ولا تنزهها عن الجسمية والتشبيه بغيرها؟)[٤].

----

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

(٣) سورة العلق، الآيات: ١و٢و٣و٤و٥.

(٤) جامع السعادات للشيخ النراقي: ص١٠٣ ـ ١٠٦.

فلسفة وجود الإمام

إن البحوث التي أثبتنا بها ضرورة بعث النبيين تبين كذلك إلى حد كبير ضرورة وجود الإمام بعد النبي، لأن الموضوعين يشتركان في جانب مهم من المناهج، إلاّ أن موضوع الإمامة يتطلب مزيداً من البحث:

التكامل المعنوي إلى جانب وجود القادة الإلهيين

قبل كل شيء نتوجه إلى الهدف من خلق الإنسان، فهو أساس عالم الخليقة.

إن الإنسان يطوي طريقاً طويلاً كثير المنعطفات والعثرات في سيره نحو الله، ونحو الكمال المطلق، نحو التكامل المعنوي بجميع أبعاده.

من البديهي أنه لا يستطيع أن يقطع هذا الطريق بنجاح بغير هداية قائد معصوم، ولا أن يطويه بغير معلم سماوي، لأنه طريق محفوف بالظلمات وبمخاطر الضلال.

صحيح أن الله قد وهب الإنسان العقل والحكمة، ومنحه وجداناً قوياً مثمراً، وأرسل إليه كتباً سماوية، ولكن هذا الإنسان، مع كل هذه الوسائل التكوينية والتشريعية، قد يخطئ في تمييز خط سيره، لذلك فإن وجود دليل معصوم يأخذ بيده يقلل كثيراً من احتمالات الانحراف والضياع، فبناءً على ذلك:

(وجود الإمام يكمل الهدف من خلق الإنسان).

وهذا هو ما يطلق عليه في كتب العقائد اسم (قاعدة اللطف)، ويقصدون بها أن الله الحكيم يمد الإنسان بجميع الأمور اللازمة له لكي يصل إلى هدف الخلق، ومن ذلك بعث الأنبياء وتعيين الأئمة المعصومين، وإلاّ فإنه يكون قد (نقض الغرض) من ذلك، فتأمل!

حماية الشرائع السماوية

إن الأديان الإلهية عند أول نزولها على قلوب الأنبياء تكون أشبه بقطرات المطر النقية الشفافة الزلال التي تمنح الحياة وتربي الروح.

ولكنها عندما تدخل المحيط الملوث والأدمغة الضعيفة غير النظيفة تتلوث بالتدريج، وتضاف إليها الخرافات والأوهام، بحيث أنها تفقد شفافيتها ولطافتها الأولى، وعندئذ لا يبقى لها شيء من جاذبيتها وتفقد الكثير من تأثيرها التربوي، فلا هي تروي عطش العطاشى، ولا هي تنبت برعماً لفضيلة.

ههنا تتضح ضرورة وجود القائد المعصوم بصفته أنه هو الذي يحمي أصالة الدين، وخلوص المناهج الدينية، ويحول دون كل اعوجاج وانحراف وفكر وافد ونظرة سقيمة غريبة، وكل الخرافات والأساطير، إذ لو بقي الدين بدون وجود مثل هذا القائد والحامي لفقد في فترة قصيرة أصالته ونقاءه.

ولهذا نجد الإمام علياً عليه السلام يقول في إحدى خطبه:

«اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، وإمّا خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيّناته».(١)

في الواقع أن قلب الإمام، من هذه الناحية، أشبه بالخزانة المتينة التي تحفظ فيها الوثائق والمستندات المهمة، لكي تبقى مصونة من أيدي اللصوص والعابثين والحوادث، وهذا وجه آخر من وجوه فلسفة وجود الإمام.

قيادة الأمة سياسياً وإجتماعيا

لا شك أن الجماعة من الناس إذا لم يكن لها نظام اجتماعي يقف على رأسه قائد قادر، لا تكون قادرة على إدامة حياتها، ولهذا نجد الأقوام من أقدم العصور حتى الآن قد اختاروا لأنفسهم زعيماً وقائداً، وهذا القائد قد يكون صالحاً.

ولكنه كثيراً ما لا يكون، ولطالما استطاع كثير من طالبي الجاه والسلطة استغلال حاجة الناس إلى المرشد والقائد لفرض أنفسهم بالقوة والتزوير على الناس، فاستحوذوا على أزمة الأمور في أيديهم.

وكي يتمكن الإنسان من الوصول إلى هدفه المعنوي، يجب عليه أن لا ينفرد في مسيرته، بل عليه أن ينضم إلى المجتمع في مسيرة عظمى، لأن طاقات الفرد الفكرية والجسمية والمادية والمعنوية ليست شيئاً يذكر بإزاء طاقات المجتمع الجبارة.

ولكن المجتمع المطلوب هو الذي يسوده نظام سليم، تتضح فيه مواهب الإنسان،

ويقف بوجه الانحرافات، ويحافظ فيه على حقوق جميع الأفراد، ويضع الخطط والمناهج للوصول إلى أهدافه الكبرى، ويعبئ الدافع المحرك في المجتمع ضمن إطار من الحرية يشمل المجتمع كله.

ولما كان الإنسان العادي المعرض للخطأ غير قادر على حمل مثل هذه الرسالة العظيمة، بدليل ما نراه بأم أعيننا من إنحراف قادة العالم السياسيين عن جادة الصواب، كان لابد أن يختار الله قائداً معصوماً يضطلع بمهمة الإشراف على تحقيق هذه الرسالة بالاعتماد على طاقات البشر الكامنة وأفكار العلماء في الوقت الذي يقف بوجه الانحرافات بحزم.

وهذا وجه آخر من أوجه فلسفة وجود الإمام المعصوم وفرع آخر من فروع (قاعدة اللطف).

ضرورة إتمام الحجة

إن وجود الإمام لا يقتصر على إنارة القلوب المستعدة للهداية والسير في طريق التكامل، بل يعتبر إتماماً للحجة على الذين ينحرفون متعمدين عن الطريق السوي، وذلك كي لا يكون العقاب الذي ينزل بهم بدون سبب، ولكي لا يعترض معترض منهم أنهم لو أخذ بأيديهم مرشد إلهي ليقودهم إلى طريق الرشاد، لما ساروا في طريق الانحراف.

أي أن وجود الإمام يقطع الطريق على كل عذر وحجة، بوساطة بيان الأدلة الكافية، والتوعية اللازمة لغير الواعين، وتطمين الواعين وتقوية إرادتهم.

فائدة وجود إمام غائب مستور عن الأنظار في عصرنا هذا؟

هناك روايات معتبرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله كقوله:

«أهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب الأرض»[٢]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يزال هذا الدين قائماً أو يكون عليكم اثنا عشر وكلهم من قريش فإذا ذهبوا ساخت الأرض بأهلها».[٣]

يقول الله عزّ وجل للنبي صلى الله عليه وآله:

((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ)).[٤]

وأهل البيت كذلك، فصريح قول النبي صلى الله عليه وآله يعني: لولا الإمام المهدي ولولا وجود الإنسان الكامل لنزل البلاء على هذا الكون ولما بقيت الأرض، إذن وجودنا كله والبركات الموجودة والعلوم التي نتوصل إليها قد جعلها الله ببركة وجود الإنسان الكامل.

هذه الكلمة المعروفة ـ لو خليت لقلبت ـ لا تعني من الناس الصالحين فقط وإنّما من الإنسان المعصوم الكامل، فوجود الحياة مرتبطة به، كما عند كثير من أهل العرفان انّ الحياة لابد لها من وجود إنسان كامل، والإنسان الكامل لا ينطبق إلاّ على الإنسان المعصوم.

لماذا الإمام الآن غائب؟

أليس السبب في غيبته هو الظلمة الطغاة؟ إذن البشرية الظالمة هي السبب في غيبة الإمام.

من قال إنّ الإمام المهدي مستور تماماً؟ ربما ينكشف عليه السلام لبعض الأولياء في الأمور المهمة، ربما يلهم أو يحضر عند بعض الأولياء، قد يعطيهم برنامجا لا نستطيع أن نتأكد مائة بالمائة إنّ الإمام غائب عن كل الناس، ربما يلتقي ببعض الناس ويعطيهم بعض البرامج، الله العالم.

إذن لا نستطيع أن نقول الإمام غائب تماماً، الإمام الصادق يقول لسليمان بعد سؤاله عن فائدة الإمام المستور: كفائدة الشمس حين يسترها السحاب.[٥][٦]

الإمام واسطة الفيض الإلهي

كثير من العلماء، استناداً إلى الأحاديث الإسلامية يشبهون وجود النبي والإمام في المجتمع الإنساني، أو في كل عالم الوجود، بالقلب بالنسبة لجسم الإنسان، فالقلب إذ ينبض يرسل الدم إلى جميع العروق، ويغذي جميع الخلايا في الجسم.

ولما كان الإمام المعصوم، باعتباره إنساناً كاملاً وطليعة قافلة الإنسانية، وسبب نزول الفيوضات الإلهية التي ينهل منها كل فرد على قدر إرتباطه بالنبي أو الإمام، فلابد أن نقول أنه مثلما كان القلب ضرورياً لحياة الإنسان، كذلك كان وجود واسطة نزول الفيض الإلهي ضرورياً في جسد عالم البشرية.

إن مثل النبي والإمام هو كمثل القلب، إن القلب واسطة إيصال الفيض الإلهي لسائر أنحاء الجسم، فالنبي أو الإمام أيضاً واسطة إيصال الفيوضات الإلهية لسائر أبناء البشر.[٧]

---

(١) نهج البلاغة: الكلمات القصار، ١٤٧.
(٢) كمال الدين للصدوق: ص٢٠٥، ح١٩؛ ينابيع المودة للقندوزي: ج٢، ص١١٤، ح٣٢٠.
(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج١، ص٢٥٠؛ كنز العمال للمتقي الهندي: ج١٢، ص٣٤، ح٣٣٨٦١؛ إعلام الورى للطبرسي: ج٢، ص١٦١.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.
(٥) كمال الدين للصدوق: ص٢٠٧، ح٢٢.
(٦) موقع الموعود: عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.
(٧) سلسلة أصول الدين، آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ص١٩ ـ ٢٤.



المولى قربان علي الزنجاني

العلامـة الإمـام المـولى قربـان علي بن علي أصغر الزنجاني.

ولد الشيخ في سنة ١٢٣٥هـ، في قرية آريون من محافظة زنجان، في عائلة المرحوم عسكري علي، أمه سارة، سمي بـ(قربان علي).

أكمل دراسته الإبتدائية كالفلاحين بالقرية، أكمل دراسته في مسجد نصر الله خان في زنجان، فبعد ذلك انتقل إلى العراق وإلى النجف فكان طالبا عند الشيخ مرتضى الأنصاري رحمة الله عليه.

سكن المترجم بمدينة زنجان وكان من عُمَد رجال العلم والروحانية في إيران، كان من أجلة فقهاء عهده فيها وكان رئيساً مطاعاً، نافذ الأمر، وجيهاً في العامة.

وكان فقيهاً، أصولياً، محدّثاً، متتبعاً، محيطاً بالأخبار والآثار وكان مرجع الفتوى والتقليد في قطر عظيم منها وكان يجبى إليه أموال من مقلديه من الحقوق الواجبة الشرعية.

وكان رحمه الله قليل الاعتقاد لعلماء عهده فيها، كان المترجم يتصدى للقضاء وفصل الخصومات والأمور الشرعية بل إجراء التعزيزات والحدود فيها وكان يقول: (لو علمتُ أن فيها مجتهداً متعجزياً وفي أدنى درجة من الفقاهة لما خرجتُ إلى الناس قطّ).

وكان له مجلس بحث كبير فيها، كان يجتمع عنده جمع كثير من القريب والنائي وكان يحطّ عنده الرحال من البلاد للأخذ عنه وكان شديد المراقبة للبحوث العلمية والاشتغال وكان لا يتركها بحال.

وكان شديد السيرة، زاهداً في عيشته، بسيطاً في أموره، لا يعرف شيئا من التجمل والتفكه واللذائذ وطيب العيش في شيء من مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه، بل لا يعيش إلاّ كسفلة الناس وأدناهم وكان حصوراً مجردا ليس له أهل ولا عيال إلاّ امرأة كبيرة انقطع عليها كي تتحمل قسماً من حوائجه الضرورية، كأحد من الفقراء النازل في المعيشة وخفيف المؤونة تأتي إليه في بعض الأيام وهو يعيش ويبيت في بيته منفرداً، يصدق عليه حقيقة بيان ليس في الدار غيره ديّار، وكان لا يخرج من بيته أبداً.

كان له يد باسطة وحكم نافذ وأمر مطاع وكان حوله جماعة من طبقات الناس لإجراء أحكامه وانفاذ أوامره وكان إذا قضى في قضية ولم يجرِ حكمه كما حكم به، أقدم على إجرائه بنفسه، فما كان من شيء يردّ أمره ويمنع من إجرائه، يطاوعه جميع القوى الموجودة فيها من قوى الحكومة وغيرها ولذلك كان قد اجتمع لديه وتقرب عنده فيمن كان حوله، جماعة من الأشرار وشياطين الأنس في أيّ زيّ من الأزياء... بنفوذه سوء الاستفادات ويأخذون منه بعض الأحكام في بعض الموارد بالباطل وعن غير حقّ بشهادات الزور والتدليس والتلبيس ولطايف الحيل ويأخذون أموال الناس بأنحاء المكائد والوسائل وما كان يقدر بمدافعتهم أحد.

وكان المترجم لاعتزاله وعدم المعاشرة مع الناس لا يطلع على سوء أخلاقهم وأحوالهم وأفعالهم ومكائدهم، فيحسن الظن بهم ولا يمكن لأحد من إظهار حالهم عنده ولا يقبله من أحد كما هو الغالب السـاري في أرباب السلطة وذوي النفوذ في الشرق غالباً ولاسيما الروحانيون منهم، لاعتيادهم بالعزلة والتباعد عن مجاري الأمور والأصول الجارية في الجامعة وهو أضرّ السموم الروحية لحياة الجامعة.

مع ما كان عليه المترجم من بعده عن العرفيات وبساطة أخلاقه وأفكاره وصفاء ضميره عارياً عن مزايا المعاشرات العرفية.

وكان ذلك كله سبباً لانحطاط مقام المترجم عند الخواص في عهده، فكان خواص الناس لا يعتقدون به وما كان لهم حسن النظر إليه وحسن الذكر له.

ولما حدثت النهضة العامة الدستورية والقيام ضد الحكومة الاستبداديّة في إيران، لمطالبة القانون حسبما يحكيه تاريخ العهد خالف المترجم في ذلك مخالفة شديدة.

ولما خلع السلطان محمد علي القاجار من أريكة الملك واستولى على الأمر زعماء النهضة الحديثة واستقرت أصول الحكومة الدستورية فيها وكان المترجم يستمرّ على مخالفته وكان يمنع من إجراء أصول الحكومة الدستوريّة في زنجان وما والاها وتشكيلها فيها وقد عزم أولياء الحكومة الجديدة على قلع كلّ من يخالفها في أضلاع الملك.

وكان وقتئذ قسم من قوى الحكومة برياسة مسيو يبرم خان الأرمني وبعض أمراء بختيار قد حصل لهم الفراغة من تدبير بعض عشائر قبيلة شاهسون في ضواحي تبريز وأردبيل وكان لهم الرجوع إلى طهران حينئذٍ بالفتح والظفر على الخصوم.

فصدر الأمر لهم بقلع المترجم أيضا في

مراجعتهم منها وكان المترجم قد بعثه بعض من حوله بالتجمع والاحتشاد عنده للمقابلة مع الحكومة، فأمر المترجم بالمقابلة والمقاتلة واشتدت نائرة الفتنة في داخل بلدة زنجان، برهة من الزمان حتى ضاق الأمر عليهم من الحكومة، فنكثوا عهدهم ونقضوا بيعتهم وتفرقوا من عنده وتركوه وحيداً فريداً، فوقع المترجم حينئذ في سلطة قوى الحكومة وأخذوه وأمرت الحكومة بسوقه إلى العراق فسيق إليها، فتشرف بمشهد الكاظمين عليهما السلام ـ وكان به حينئذ إنحراف وإنكسار في مزاجه ـ.

بعد ما قتل الشيخ فضل الله نوري بيد الحكومة في طهران، تم طرح موضوع اغتيال الملا قربان علي الزنجاني في مدينة زنجان فعزموا على الهجوم على مدينة زنجان وقتل الملا قربان علي.

عزموا على قتل الشيخ بين الناس والملأ العام فوجدوا المدينة كلها مؤيدة للشيخ، فهجّروه إلى مدينة الكاظمية.

فلم يبق فيها إلاّ قلائل من الأيام والليالي، حتى أجاب فيها داعي ربه عن سن ثمانين وصاعداً في اليوم الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٨ ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف ودفن في جوار الإمامين الجوادين سلام الله عليهما وقبره ظاهر معروف يزوره الناس وقيل أنّه كان مسموماً ومضى على أثره، والله أعلم.

يقول عنه الفقيه ميرزا محمود الحسيني إمام جمعة زنجان رحمه الله:

(كان يُشعِلُ النار تحت القدر أثناء المطالعة، ثم كان يجلس عند هذا القدر فإذا أحسّ بالنعاس فأراد أن ينام يجعل رأسه على القدر ويشعل الشعلة تحتها حتى يصل حر القدر إلى رأسه، كي لا يكون نومه إلا دقائق أو ساعة واحدة فقط، بعد ذلك يجلس ويتم القراءة، حتى لا يفوته وقت ويكون في كل أوقاته منشغلاً بالقراءة.

بعد رحيل الشيخ مرتضى الأنصاري رحمه الله أكمل دراسته الحوزوية عند آية الله الحاج السيد حسين كوه كمري.

تلمذ المترجم رحمه الله على الفقيه الأعظم الإمام صاحب الجواهر والفقيه الجليل الشيخ راضي النجفي وغيرهما ممّن في طبقتهما.

وله:

(١) رسالة في العقائد والعبادات.

(٢) تعليقات على القرآن الكريم؛ تجري مجرى التفسير، وخرج عليه جمع كثير من الفضلاء.

(٣) وله بعض الرسائل الفتوائية وبعض الحواشي الفتوائية أيضاً، كتبه لعمل مقلديه ومات هذا الرجل ولم يترك من حطام الدنيا إلاّ داره التي كان يسكنها وقد خربت وقطعات من البواري والحصير وعدداً من الكتب العلمية التي كان يحتاج إليها، مع ما كان عليه من الرياسة العظيمة وما كان يُجبى إليه من المال من الحقوق الشرعية ونحوها، قدس الله تربته ورضي عنه.[1]

التاريخ السياسي للملا قربان علي الزنجاني

عاصر الشيخ ثورة المشروطة في إيران.

في عصر الملك مظفر الدين شاه القاجار في إيران وفي عصر محمد علي شاه القاجار أرادوا تغيير الحكومة إلى حكومة إستبدادية حيث يتم اتخاذ القرارات من الملك فقط، فأصبح الشارع مخالفاً مع هذا القانون، فتم تشكيل لجان ضد هذا القرار باسم ثورة المشروطة، حيث تكون القوانين مشروطة وتكون للدولة مجلس شورى ومن خلاله يتم التصويت على القوانين الأساسية في البلاد.

وكان فقيها مطاعا وعالما كبيرا في مدينة زنجان، لقد كان من المؤيدين لقانون المشروطة.

إن مخالفته للاستبداد في إيران، كان حساً سياسيا وكان ناشئاً عن حبه للناس ومصلحتهم.

مخالفته مع الحكومة الظالمة وكونه ممن يقف ضد الظلام والظلمة جعله رمزاً للناس وأقوى محبة الناس إليه كثيرا، حيث كان سكان منطقة خمسه يأخذون بفتاواه.

قال عنه الوزير الزنجاني الذي كان من رؤساء قانون المشروطة في إيران: هذا العالم الكبير من عجائب الدنيا، وله حالات غريبة، إنه رجل بسيط وقنوع، حيث أن أكله في أكثر الأوقات خبز وخضروات، وكانت له وجبه واحدة من الغذاء في اليوم.

إنه كان يتغطى بلحاف خشن وكان لباسه من خوص، لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، قائم بالليل، عابد وزاهد لله تعالى، كان كريم النفس، كما أنه إذا وصلت إليه هدية من أحد، كان ينفقها إلى الفقراء والمساكين.

كان من العلماء الأجلاء في علوم الفقه والأصول، كان أجوبته في المسائل الشرعية والفتاوى من أحسن وأدق الأجوبة في زمانه بين العلماء.

كما ذكر التاريخ كان من المخالفين للظلم والجور في البلاد وكان ممن يقف ضد الفساد ومن المدافعين عن أراضي المسلمين، كان من المؤيدين لقانون المشروطة الأولى والثاني في إيران، حيث اتهموا الفقيه الشيخ فضل الله نوري بأنه من العملاء والمندسين ضد هذا القانون (المشروطة).

أخيرا في العام ١٢٨٥ش، تم توقيع قانون المشروطة بيد الملك ناصر الدين شاه علي، فالعلماء الذين كانوا متحصنين في مدينة قم المقدسة، رجعوا إلى مدنهم فكان منهم، السيد عبد العظيم الحسني رحمه الله المدفون في طهران المعروف بـ(شاه عبد العظيم الحسني)، فانتصرت ثورة المشروطة في إيران.

فكان بنود المشروطة كالتالي:

ـ أن مجلس الشورى يهيىء ميزانية الدولة ويكون المراقب على أموال الدولة وصرفها بالشكل الصحيح.

ـ تصويب قانون نقل أو بيع موارد الدولة، والتصويب للمعاهدات الصناعية والزراعية.

ـ تصويب قانون تعديل وتغيير حدود الدولة مع دول الجوار.

ـ تصويب قانون المعاهدات والقرارات مع دول الجوار.

ـ تصويب قانون توقيع المعاهدات الدولية، أيا كانت.

ـ تصويب قانون القروض ومساعدة الدولة للناس.

ـ تصويب قانون إصلاح الطرق والجسور وبناء الطرق الجديدة وسكك الحديد.[2]

---

(١) مرآة الشرق، موسوعة تراجم أعلام الشيعة الإمامية: ص٩١٩ ـ ٩٢٢.

(٢) موقع ويكيبيديا: موضوع ثورة المشروطة.

رد الشمس كرامة لأمير المؤمنين عليه السلام

من المعجزات المشهورة عند الفريقين لأمير المؤمنين عليه السلام رد الشمس، وقد أخرجه أبو بكر بن فورك في كتاب الفصول عن أسماء بنت عميس، وأخرجه ابن المغازي من طريقين، والقاضي أبو يعلى في المعتمد، وصاحب كتاب الشافي في بشائر المصطفى

وأخرجه ابن مردويه، والنطنزي، وابن مندة، والجرجاني، والشيرازي، والوراق، والحسكاني، وصنف أبو عبد الله الجعل فيه كتابا وكذا غيره.

ونظمه جماعة كثيرة من العلماء والشعراء، كابن أبي الحديد، وقدامة السعدي، والسيد المرتضى، والحميري، والصاحب بن عباد الرازي، وابن حماد، والمفجع، وغيرهم من الشعراء والعلماء.

فقد ورد في كتاب مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني: عن عبد العزيز بن يحيى، عن محمد بن زكرياء، عن علي ابن حكيم، عن الربيع بن عبد الله، عن عبد الله بن حسن، عن أبي جعفر محمد بن علي ـ عليهما السلام ـ، قال:

«بينا النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ ذات يوم ورأسه في حجر علي ـ عليه السلام ـ إذ نام رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ولم يكن علي ـ عليه السلام ـ صلى العصر، فقامت الشمس تغرب، فانتبه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فذكر له علي ـ عليه السلام ـ شأن صلاته، فدعا الله فرد عليه الشمس كهيئتها (في وقت العصر) وذكر حديث رد الشمس، فقال (له) : يا علي قم فسلم على الشمس وكلمها فإنها ستكلمك.

فقال له يا رسول الله فكيف أسلم عليها؟ فقال: قل: السلام عليك يا خلق الله.

فقام علي ـ عليه السلام ـ وقال: السلام عليك يا خلق الله.

فقالت: وعليك السلام يا أول يا آخر، يا ظاهر يا باطن، يامن ينجي محبيه، ويوثق مبغضيه.

فقال له النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ: ما ردت عليك الشمس؟ فكان علي كاتما عنه.

فقال له النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ: قل ما قالت لك الشمس.

فقال له ما قالت.

فقال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: إن الشمس قد صدقت، وعن أمر الله نطقت، أنت أول المؤمنين إيمانا، وأنت آخر الوصيين، ليس بعدي نبي ولا بعدك وصي، وأنت الظاهر على أعدائك، وأنت الباطن في العلم الظاهر عليه، ولا فوقك فيه أحد، أنت عيبة علمي، وخزانة وحي ربي، وأولادك خير الأولاد، وشيعتك هم النجباء يوم القيامة.[1]

---

(١) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني: ج١، ص٢١٦ ـ ٢١٧.



شرح الصحيفة السجادية

*الحلقة السادسة

الدعاء الأول

(**الحَمْدُ للهِ الأَوَّلِ بِلاَ أوّلٍ كانَ قَبْلَهُ، وَالآخِرِ بِلاَ آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ، الّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أَبْصارُ النّاظِرِين، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أوْهامُ الواصِفِينَ، ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الخَلْقَ ابْتِدَاعاً، وَاخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِهِ اخْتِراعاً، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إرادَتِهِ، وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ،.....**).

(**ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إرادَتِهِ، وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ**)

(ثم) هنا إما لتراخي الزمان، أو الرتبة. و(سلك) ــ من باب قعد ـ يتعدّى بنفسه، وبالباء أيضا، وعلى الأوّل ما وجد في بعض النسخ القديمة: (ثم سلكهم وبعثهم). و(الطريق) و(السبيل) بمعنى، وكل منهما يذكّر ويؤنّث. و(البعث): الإرسال.

و(الإرادة)، فقد اختلف المتكلمون في تفسيرها: فالأشاعرة فسّروها بـ: أنها صفة مخصصة لأحد المقدورين.

والإرادة في الواجب هي المحبة الإلهية التابعة لابتهاجه بذاته التي ينبوع كلّ فضيلة وكمال، وهي عين الداعي الذي ليس بأمر زائد على ذاته، وهو نفس علمه بنظام الخير الذي هو عين ذاته المقتضية للنظام الكلي المؤدية للخيرات أتم اقتضاء وتأدية، لأنه لما علم ذاته ـ التي هي أجل الأشياء ـ بأجلّ علم يكون مبتهجاً بذاته أشدّ الابتهاج، ومن ابتهج بشيء ابتهج بجميع ما يصدر عنه من حيث كونه صادراً عنه، فالواجب ـ تعالى ـ يريد الأشياء لا لأجل ذواتها الإمكانية، بل لأجل أنها آثار صادرة عنه ـ تعالى ـ.

قال بعض الحكماء: (لو أن إنسانا عرف الكمال الذي هو حقيقة واجب الوجود وكان ينظم الأمور التي بعده على مثاله حتى كانت الأمور على غاية النظام لكان غرضه بالحقيقة واجب الوجود الذي هو الكمال، فإذا كان واجب الوجود هو الفاعل فهو الغاية والغرض). و(المحبة): ميل النفس على الشيء لكمال أدركته فيه بحيث يحملها إلى ما يقرّبها إليه.

كما قال مولى المتّقين أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ما عبدتك خوفاً من نارك وطمعاً لجنّتك، بل وجدتك مستحقاً للعبادة فعبدتك». لذا قيل: (إمارة حب المؤمن لله ترك معاصيه).

والبعث: الإرسال والتوجيه، لقد صور الله الخلق كيف شاء وأنشأهم بعينه وحكمته وأسلكهم سبيل الحياة وسخرهم لمرضاته وألزمهم تكاليف وفرائض ومندوبات تهدي إلى محبته ونيل مرضاته.[2]

وقيل في معنى (وبعثهم في سبيل محبته): لعله أنه سبحانه ألزم عليهم تكاليف خاصة حيث أحب وكما أراد، فالجملة الأولى للتكوين والجملة الثانية للتشريع.[3]

وقيل أيضا: يترك الإسلام الإمتثال، والتنفيذ، لحرية الإنسان بعد أن يأمره بالخير، وينهاه عن الشر، ويبشره بالثواب على الطاعة، وينذره بالعقاب على المعصية، ولا يلجئه قهرا على فعل واجب، ولا ترك محرم حيث لا إنسانية بلا حرية، ومعنى هذا أن الإنسان مسير تشريعا، مخير تنفيذاً، ومسؤول عن سلوكه، وتصرفاته، فإذا امتنع بإرادته، واختياره عن فعل الواجب، وترك المحرم استحق العقاب؛ لأنّ من امتنع عن الاختيار فقد اختار أن لا يختار.

يتضح مراد الإمام عليه السلام بقوله: (سلك بهم طريق إرادته...) وأنه تعالى قد بين حلاله، وحرامه لعباده في كتبه، وعلى لسان رسله، ليتقوا، ويهتدوا، ويعملوا متعاضدين لحياة أفضل، وأكمل. قال تعالى: ((كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ))، ثانية: ((لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ))، وثالثة: ((لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ))، ورابعة: ((لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ))، وخامسة: ((لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)).

وقيل: (ثم) هنا إما لتراخي الزمان أو الرتبة، و(سلك) يتعدى بنفسه وبالحروف، وعلى الأول ما وجد في بعض النسخ القديمة، ثم سلكهم في طرق إرادته وبعثهم على سبيل محبته، وقد تحصل لهذه الفقرات معان ثلاثة.

الأول: إنه تعالى بعد الاختراع والابتداع، أدخلهم وبعثهم في الطريق الذي أراده وأحبه من مراتب التكليف، بواسطة الرسل والعقول، فكلفهم ما أراد، لا ما أرادوا وأحبوا، فلا يملكون ولا يقدرون على تأخير التكاليف عن أوقاتها المؤقتة لها.

الثاني: أنه أدخلهم وخلقهم على ما أراد من تفاوت مراتبهم في الاستعداد، فجعل مادة بعضهم مستعدة للنبوة، والبعض الآخر للإمامة.

الثالث: إن السالك إذا صرف شراشره وهمته في خدمة مطلوبه أدخله ذلك المطلوب في الطريق المراد له، حتى أن كل ما يصدر منه يكون على وفق إرادة ذلك المطلوب، فيتخلى عن إرادات نفسه، ويتحلى بإرادات قدسه، كما مر من قوله: «إذا تقرّب العبد إليّ بالنوافل»، الحديث.

فإنه أفنى قوته الجسمانية في جنب الله، فأفاض الله عليه من قوته، وكذا قوله في صفة المتهجدين: «إنهم خلوا بربهم فكساهم من نوره»، فإنهم أفنوا حسّهم البشري بالفكر والسهر، واصفرت وجوههم منه، وبعد هذا أفاض الله عليهم من حسنه وأنواره، وتسمى هذه المرتبة البقاء في الله.[4]

----

(١) لوامع الأنوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية للسيد محمد باقر الحسيني الشيرازي: ص٣٠٢ ـ ٣١٦.

(٢) بحوث في الصحيفة السجادية للشيخ صالح الطائي: ص٨.

(٣) شرح الصحيفة السجادية، الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي: ص١٦.

(٤) نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية للسيد نعمة الله الجزائري: ص٢٨ ـ ٢٩.

فقه الأسرة وآدابها

حدود طاعة الوالدين وبرّهما



حدود طاعة الوالدين وبرّهما

يتوجّب على كلّ إنسان تجاه والدين ستّة أمور:

١ـ حبّ الوالدين.
٢ـ شكر الوالدين.
٣ـ احترام وتقدير الوالدين وحسن معاشرتهما.
٤ـ الإنفاق على الوالدين.
٥ـ رحمة الوالدين.
٦ـ طاعة الوالدين.

فمن كان مراعياً لهذه الأمور كتب بارّاً بوالديه.

حبّ الوالدين والعطف عليهما

يبدأ هذا الحبّ من الأبناء منذ اللحظة التي يخرجون بها إلى عالم الدنيا، نعم هو في هذه المرحلة فطري، أودعه الباري في الطفل لينمو معه يوماً بعد يوم حتّى يصل إلى مرحلة يترجم ذلك الحبّ إلى برّ الوالدين والعطف عليهما.

وينبغي للأبناء الاستمرار في هذا الحبّ والعطف والحنان سواءً في حياة الآباء أم بعد موتهم.

وينبغي أن يكون الحبّ مصحوباً بالعطف المصاحب للمصافحة أو المعانقة أو تقبيل اليدين للتعبير عن الحبّ والعاطفة المودعة من قبل الأبناء، وأن يقوم الولد أو البنت بأنفسهما بالإطلاع والتأكيد على حاجة الوالدين وعدم الاكتفاء بالسؤال، إذ عادة يعتري الآباء الخجل أو المذلّة، ذلك أنهما اعتادا على إعطاء الأبناء بعزّة نفس، فكيف يهون عليهم طلب الحاجة المستبطن للذلّة أو الحرج لذا أمر أهل البيت عليهم السلام بالتأدّب مع الوالدين في كيفيّة الإعطاء والهديّة إليهما، وذلك بالتقديم ليكون الآباء هم الذين يأخذون، بأن توضع الحاجة على أكفّ الأبناء المفتوحة ـ كحالة الدعاء ـ.

وينبغي أيضاً للأبناء بين الفينة والفينة تقديم الهديّة النقديّة والعينيّة للآباء تعبيراً عن هذا الحبّ والعطف والترحّم المدفون في قلب كلّ إنسان، حتّى لو كان الآباء بحالة ماديّة جيّدة.

ولا ينقطع الحبّ والعطف بموت الوالدين كما ولا تنقطع الهديّة إليهما، فينبغي للأبناء الاستمرار بحبّ الوالدين وصلتهما للإشارة إلى أنّ الله سبحانه وتعالى المنعم الأوّل على الإنسان بنعم لا تحصى، وأنّ الوالدين هما المنعم الثاني على الأبناء، وشكر المنعم واجب ومطلوب ما دامت النعمة ظاهرة على المنعم عليه.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

(إنّ الله يوصيكم بآبائكم).

وقال الإمام علي عليه السلام:

عليك ببر الوالدين كليهما
وبر ذوي القربى وبر الأباعد

سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

(يا رسول الله: مَن أبُرُّ؟ قال: أمّك! ثم أمّك! ثم أمّك! ثمّ أباك، ثمّ الأقرب فالأقرب).

قيل: يا رسول الله: من أحقّ الناس بحسن صحابتي؟ قال:

(أمّك).

قال (السائل): ثم مَن؟ قال:

(أمّك).

قال: ثم من؟ قال:

(أمّك).

قال: ثم من؟ قال:

(أبوك).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(... فالجبان يفرّ عن أبيه وأمه).

وفي قصة عن المرحوم الشيخ عبد الزهراء الكعبي قال:

مررت في طريقي على بستان فرأيت الناعور الذي يربط بحمار أو بغل أو فرس مربوطاً بإنسان كهل يدور حتى يمنح الماء إلى الساقية فتأثرت لهذا المنظر تأثراً بالغاً، وأخذت أصيح من في البستان، وإذا بشاب جاء وقال: ماذا تريد؟ قلت: من هذا ومن أنت؟ قال: إني ابن هذا الرجل، فتقدمت إلى الولد أريد تأديبه لكن الولد هرب وفككت رباط الوالد عن الناعور وجلست معه أسليه وأخذت لأهاجم الولد فقال الوالد: يا شيخ عبد الزهراء ـ وكان يعرفني ـ إن هذا جزائي العادل فإني ربطت والدي بنفس هذا الناعور أبان كنت شابا وكان والدي كهلا وقد توفي

والـدي (رحمـه الله) قبـل مـدة فورثت البستان وكبر هذا الولد وأخذ يفعل بي الفعلة التي كنت أفعلها مع والدي.

روي أن فاطمـة عليهـا السـلام جـاءت بكسرة خبز إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

(ما هذه الكسرة يا فاطمة)؟

قالت عليها السلام:

(قـرص خبزته فلـم تطب نفسـي حتى أتيتك بهذه الكسرة).

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

(أمـا إنّـه أوّل طعام دخل فَـمَ أبيكِ منذ ثلاثة أيام).

أنظروا أيها الأعزاء شدة عطف فاطمة بنت محمد وإيمانها والتزامها بتعاليم ربها، لم تستطع أن تحرم أباها من كسرة الخبز، لم يغب عـن بالها أبوها، لم تنسـها الهموم والأحـزان ومشـاغل الحيـاة وتربية الأولاد وطاعـة الزوج وخدمة المجتمـع كل ذلك لم ينسها حق الأبوة.

أين نسـاء اليوم مـن عطف فاطمة، هل تسـاءلتِ عزيزتـي يومـاً مـا: ما حـال أمّي وأبي؟

ماذا يأكلان وكيف يعيشان؟!

هل فكرنا قبل أن ننام، أن أمنا وأبانا لم يكونـا ينامان قبل أن يطعمانا ويطمئنا على حالنا وأحوالنا؟

وروي عـن فاطمـة عليهـا السـلام أنها قالت:

(فتهيّبـت النـبي صلـى اللّه عليـه وآله وسـلم أن أقـول لـه: يـا أبه، فجعلـت أقول له: يا رسـول اللّه! فأقبل عليّ فقال لي: يا بنيّـة لم تنزل فيـك وفي أهلك من قبل، أنت مـنّي وأنا منك وإنَّما نزلت في أهل الجفاء والبـذخ والكِبَر، قولـي: يا أبـه، فإنّه أحب للقلـب وأرضـى للربّ، ثمّ قبّـل النبي صلى اللّه عليـه وآلـه وسـلم جبهـتي ومسـحني بريقه فما احتجت إلى طيب بعده).

يحـبّ الأب مـن ابنته أن تناديـه: يـا أبـه ـ يـا أبي ـ يا بابـا، لأنها تحمل ـ إضافة إلى العطف والحنان ـ معنى الأبـوّة والنبـوّة وهـي أقرب للقلـب وأرضى لربّ العالمين.

وانظـرن أيّتهـا الفتيـات المؤمنـات إلى خجل فاطمة وتهيّبها من أبيها، هكذا ينبغي للمـرأة أن تتعامل مع أمّهـا وأبيها بالعطف والحنـان والرقّة في عـرض الهيبة والخجل والاحـترام لهـا أن تمـزح مـع أبويهـا وأن تسامرهما ولكن مع تأدبٍ واحترام.

فاقـت أخـلاق فاطمـة الإحسـان إلى الوالدين، ما هذا العطف والحنان والاحترام والتقديـر من هـذه البنت البـارة؟! ترحيب وسـعيٌ نحوه لاستقباله ثمّ تقبيله وإجلاسه في مجلسها، ولكي تعطيه كلّها قامت تحدّثه وتسأل عن أحواله.

برّ الوالدين أفضل من صلاة الليل

يحـكى أن أبـا يزيـد البسـطامي كان متعلّقـا بقيـام الليل فدعته أمّـه للنوم معها ليلـة من الليالي فأجابها فجعلت يده تحتها وقالت له اقرأ:

(﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾)[1].

فقرأها حتّـى الصباح وقد خدرت يده، ولم يقم تلك الليلة، فيقال أنّ أحد أصحابه رآه في منامه بعد موته في نعيم الجنّة فسأله بِمَ نلت هذه الدرجة؟

فقال: ببرّ الوالدين وخدمتهم.

بالدعـاء لهمـا في أوقـات صلوات بل في قنوتها بدعـاء: (اللهـم أغفر لـي ولوالديّ وأرحمهمـا كمـا ربّيانـي صغـيراً واجزهما بالإحسـان إحسـاناً وبالسـيّئات عفـواً وغفرانا).

وأن يشكر اللّه والوالدين عند تجدّد كل نعمة لأنهما أصلها وأساسها.

فعن الإمام الرضا عليه السلام قال:

(من لم يشكر والديه لم يشكر اللّه)[2].

كما وينبغي الصـلاة والتصدّق والزيارة وقراءة القرآن عن الوالدين أو هدية الثواب إليهمـا، بل سـوف يأتـي في حديـث الإمام الصادق عليه السلام أن مَن لم يفعل ذلك كتبه اللّه عاقا بوالديه وإن كان في الحيـاة الدنيا بـارّاً بهما، ومن فعلـه كتبه باراً بوالديه وإن كان في حياتهما عاقّاً بهما.

وينبغـي للأبنـاء زيـادة الحـبّ والحنان على الوالديـن عند حاجتهما إليه، كحالات المـرض والشـيخوخة والوحـدة والسـفر، خاصّـة إذا تذكّـروا شـدّة الحـبّ والعطف والحنان التي مارستها الأم في حالة الحمل والرضاع وصغر الطفل، إذ كانت تطعمه من ثمـرة قلبها وتقيه بسـمعها وبصرها ويدها ورجلهـا وجميع جوارحهـا، كانت تجوع من أجـل أن تطعمه، تسـهر من أجـل أن يتنعّم هـو بالنوم والراحة، والحبّ والحنان اللذان ينبعـان مـن الأمّ لا يوصف وقـدره لا يحدّ، وقـد جـاء النهـي عـن إحزانها (مـن أحزن والديه فقد عقّهما).

ولا يجوز للأبناء ممارسة الكراهية تجاه الوالديـن ولا البغض والحقد، بل ينبغي لهم التلطّف في الكلام مع الوالدين ومجالستهم ومعاشـرتهم، وحتى لو مـارس الآباء الكلام القاسـي والمؤذي تجاه الأبناء فلا يجوز لهم الـردّ بالمثل ولا رفع الصـوت فوق أصواتهم ولا ضربهم أو إهـانتهم أو تغليظ القول لهم، بـل يجـب أن يخفض لهمـا جناح الـذلّ من الرحمـة ويقـول: ربّ أرحمهمـا كمـا ربياني صغـيراً، كما قال تعـالى: وقد جمع إمامنا الصادق ذلك في حديثٍ جاء فيه:

(بـرّ الوالديـن من حسـن معرفـة العبد باللّه...)[3].

إذن كيفمـا تكـن أخلاقنـا وتصرفاتنـا مع الوالدين فسـيكون ذلـك علينا يوماً ما، إن حياتنا تكون كشـريط تسـجيل الصوت، كلما سـجلنا كلمـة أو جملة، يتم التسـجيل فـإذا أعدنـا عرض الشـريط سـيتم عرض الكلمة أو الجملة نفسـها ونسمع ما سجلناه مـن صوتنـا، فهكـذا بالنسـبة لأعمالنا مع الوالدين.

---

(١) سورة الإخلاص، الآية: ١.

(٢) الأخلاق والآداب الإسلامية.

(٣) فقه الأسـرة وآدابها، السـيد علي عاشور: ص١١ ـ ١٥.



..الولاء والعلاقة بالأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين..

قـال مؤسـس الحـوزة العلمية في قم المقدسـة آيـة الله العظمـى الشـيخ عبـد الكريـم الحائـري رحمه الله: كنا جالسـين عنـد آيـة الله العظمـى المجـدد الشـيرازي في سـامرّاء إذ دخـل آية الله السيـد محمد الفشـاركي منقبض الوجـه قلقاً، ويظهر أنه كان مضطربـاً من مرض الوباء الذي اجتاح العراق في تلك الأيام.

فقال لنا أستاذنا آية الله الشيرازي: هل تروني مجتهداً أم لا؟!

قلنا: نراك مجتهداً.

قال: وهل تروني عادلاً أيضاً؟

قلنا: نعم.

وكان يريـد المجـدّد الشـيرازي الكبيـر بهذيـن السـؤالين أن يأخـذ مـن تلامذتـه الإقـرار، ليصـدّر حكمـاً لا يـتردّدون في تنفيذه.

وهكذا لما أقررنا علـى اجتهاده وعدالته قال:

(إني آمر كل امرأة ورجل من الشيعة بأن يقـرأوا زيارة (عاشـوراء) نيابة عـن الوالدة المعظمـة للإمـام الحجـة (عليـه السـلام)، يقسـمون عليها بحق ابنها (عجل الله تعالى فرجه) كي يشـفع لنا الامام عند الله تعالى فينجي الله المسلمين من مرض الوباء).

يقـول آيـة اللّه الشـيخ عبـد الكريـم الحائـري: (لمجرد صدور هـذا الحكم التزم شـيعة سـامراء بالطاعة، وكانت النتيجة أن لا أحـد منهم أصيب بهذا المرض، في الوقت الذي كان في اليوم الواحد يموت من غيرهم عشـرة إلى خمسـة عشـر شـخصاً بسـبب الوباء).

هكـذا كان مقـام المجـدّد الشـيرازي في شـدّة ولائـه وعلاقتـه بالأئمة مـن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

حبلٌ ذو طَرَفَين

لقـد اشـتهر المرجـع الكبيـر المرحـوم آيـة الله العظمـى الميرزا مهدي الشـيرازي في كربـلاء بزهـده وأخلاقـه وحلمـه وتقواه وأسـاليبه الصعبة في ترويض نفسه ومراقبة أعمالـه، وهو والد المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي رحمه الله.

كما اشـتهر عن المرحوم مقابلته الإساءة بالإحسـان، فكم من جهلة شتموه أو اغتابوه ثـم نـدم بعضهـم وأصلح سـريرته، في حين اسـتمر بعضهم الآخر في غيّه، فكان السيد يـوكل أمره إلى الله ليحاسـبه يوم يقف بين يـدي الله عزّ وجل، فذات مرة قيل للسـيد: (إن فلاناً ـ وكان يروّج الإشاعات حول السيد ـ قد ذهب إلى إيـران، وقال عنك هناك في طـول البـلاد وعرضها أشـياءَ للتنقيص من مكانتك)!

فـكان ردّه بهدوء وبراءة: (لقد ربط حبلاً بعنقـه، وأعطانـي الطرف الآخـر منه، لكي أسـحبه يـوم القيامـة وأحاسـبه عنـد الله تعالى).

وهـذا هـو الفـارق بـين مـن ينظـر إلى الدنيا، فيسـرع في إصـدار الأحكام العاجلة على هـذا وذاك يتوعّد للانتقام والتشـفي، وبـين من ينظـر إلى الآخـرة، فيصبر حتى يُصـدِر الحكم ذلك الشـاهد العـادل القادر على كل شيء، فهل أنت كهذا أو كذاك؟

كمـا لـك الخـيرة في أنْ تختـار حبلاً في عنقـك والمظلوم يجرّك بـه إلى عدل الله أو تختار الـورع عن محارم الله والإعراض عن الشـبهات، فلنذكر أنفسـنا الحديث القائل: (الظلـم الـذي لا يُـتـرَك فظُلـم العبـاد فيما بينهم، يَقُصّ الله بعضهم من بعض).



الطاقة

الحلقة الخامسة

طاقة شمسية

الطاقة الشمسية هي الطاقة الأم فوق كوكبنا، حيث تنبعث من أشعتها كل الطاقات المذكورة سابقاً لأنها تسير كل ماكينات وآليات الأرض بتسخين الجو المحيط واليابسة وتوليد الرياح وتصريفها، وتدفق دورة تدوير المياه، وتدفىء المحيطات، وتنمي النباتات وتطعم الحيوانات. ومع الزمن تكون الوقود الإحفوري في باطن الأرض. وهذه الطاقة يمكن تحويلها مباشرة أو بطرق غير مباشرة إلى حرارة وبرودة وكهرباء وقوة محركة. تعتبر أشعة الشمس أشعة كهرومغناطيسية، وطيفها المرئي يشكل ٤٩٪ منها، وغير المرئي منها يسمى بالأشعة الفوق البنفسجية، ويشكل ٢٪، والأشعة تحت الحمراء ٤٩٪.

الطاقة الشمسية تختلف حسب حركتها وبعدها عن الأرض، فتختلف كثافة أشعة الشمس وشدتها فوق خريطة الأرض حسب فصول السنة فوق نصفي الكرة الأرضية وبعدها عن الأرض وميولها ووضعها فوق المواقع الجغرافية طوال النهار أو خلال السنة، وحسب كثافة السحب التي تحجبها، لأنها تقلل أو تتحكم في كمية الأشعة التي تصل لليابسة، عكس السماء الصحوة الخالية من السحب أو الأدخنة. وأشعة الشمس تسقط على الجدران والنوافذ واليابسة والبنايات والمياه، وتمتص الأشعة وتخزنها في كتلة (مادة) حرارية Thermalmass.

هذه الحرارة المخزونة تشع بعد ذلك داخل المباني. تعتبر هذه الكتلة الحرارية نظام تسخين شمسي يقوم بنفس وظيفة البطاريات في نظام كهربائي شمسي (الفولتية الضوئية). فكلاهما يختزن حرارة الشمس لتستعمل فيما بعد.

والمهم معرفة أن الأسطح الغامقة تمتص الحرارة ولا تعكسها كثيراً، لهذا تسخن. عكس الأسطح الفاتحة التي تعكس حرارة الشمس، لهذا لا تسخن. والحرارة تنتقل بثلاث طرق ،إما بالتوصيل conduction من خلال مواد صلبة، أو بالحمل convection من خلال الغازات أو السوائل، أو بالإشعاع radiation. من هنا نجد الحاجة لانتقال الحرارة بصفة عامة لنوعية المادة الحرارية التي ستختزنه، لتوفير الطاقة وتكاليفها. لهذا توجد عدة مبادىء يتبعها المصممون لمشروعات الطاقة الشمسية، من بينها قدرة المواد الحرارية المختارة لتجميع وتخزين الطاقة الشمسية حتى في تصميم المباني واختيار مواد بنائها حسب مناطقها المناخية سواء في المناطق الحارة أو المعتادة أو الباردة. كما يكونون على بينة بمساقط الشمس على المبنى والبيئة من حوله كقربه من المياه واتجاه الريح والخضرة ونوع التربة، والكتلة الحرارية التي تشمل الأسقف والجدران وخزانات الماء كل هذه الاعتبارات لها أهميتها في امتصاص الحرارة أثناء النهار وتسربها أثناء الليل.

طاقة جسيم وطاقة شعاع

يدخل في حسابات طاقة جسيم وطاقة شعاع ثابتان طبيعيان وهما c سرعة الضوء في الفراغ و h ثابت بلانك. يعد هذان الثابتان الطبيعيان من أهم الثوابت على الإطلاق لأنهما يحددان إلى جانب ثابت الجاذبية G والقوى الأساسية وكتلة الإلكترون وكتلة البروتون وشحنة أولية تكوين الكون كله من ذرات ونجوم ومجرات ومن كواكب ومن أرض نشأت عليها الحياة.

طاقة جسم أو جسيم.

تلك هي طاقة حركية جسم أو جسيم، وتنطبق المعادلة على الأجسم الكبيرة مثل السيارة مثلا ، وكذلك على الجسيمات الصغيرة مثل الإلكترون ، (كل بحسب كتلته).

(ملحوظة: ينجم عن سرعة الجسيم طاقة حركية يمكن حسابها طبقا للمعادلة أعلاه التي تعتمد على كتلة الجسم m وسرعته v.

ولكن إذا شئنا معرفة الطاقة الكلية للجسم فلا بد من أخذ الطاقة المرتبطة بكتلة السكون للجسم أيضا. وتحسب طاقة كتلة السكون للجسم عن طريق معادلة أينشتاين التي تعطي تكافؤ الكتلة والطاقة :

$E = m. c^2$ حيث c سرعة الضوء في الفراغ. أي أن الطاقة الكلية لجسم: = $m. c^2$ + ويمكن حساب الطاقة الكلية لجسيم كالبروتون (أو لجسم كالسيارة) بالوحدات.



زوروا موقعنا على شبكة الانترنت . .

www.imamhussain-lib.com

